٢ التراث العلمي لمدينة جدة

استلفات نظر المؤمنين

إلى ما طرأ على دين سيد المرسلين

تأليف

محمد بن حسين بن سليمان الفقيه
المتوفى سنة (١٣٥٤هـ)
إمام مسجد عكاش بجدة

تحقيق

د. خضر بن صالح بن سند

الروضة للنشر والتوزيع

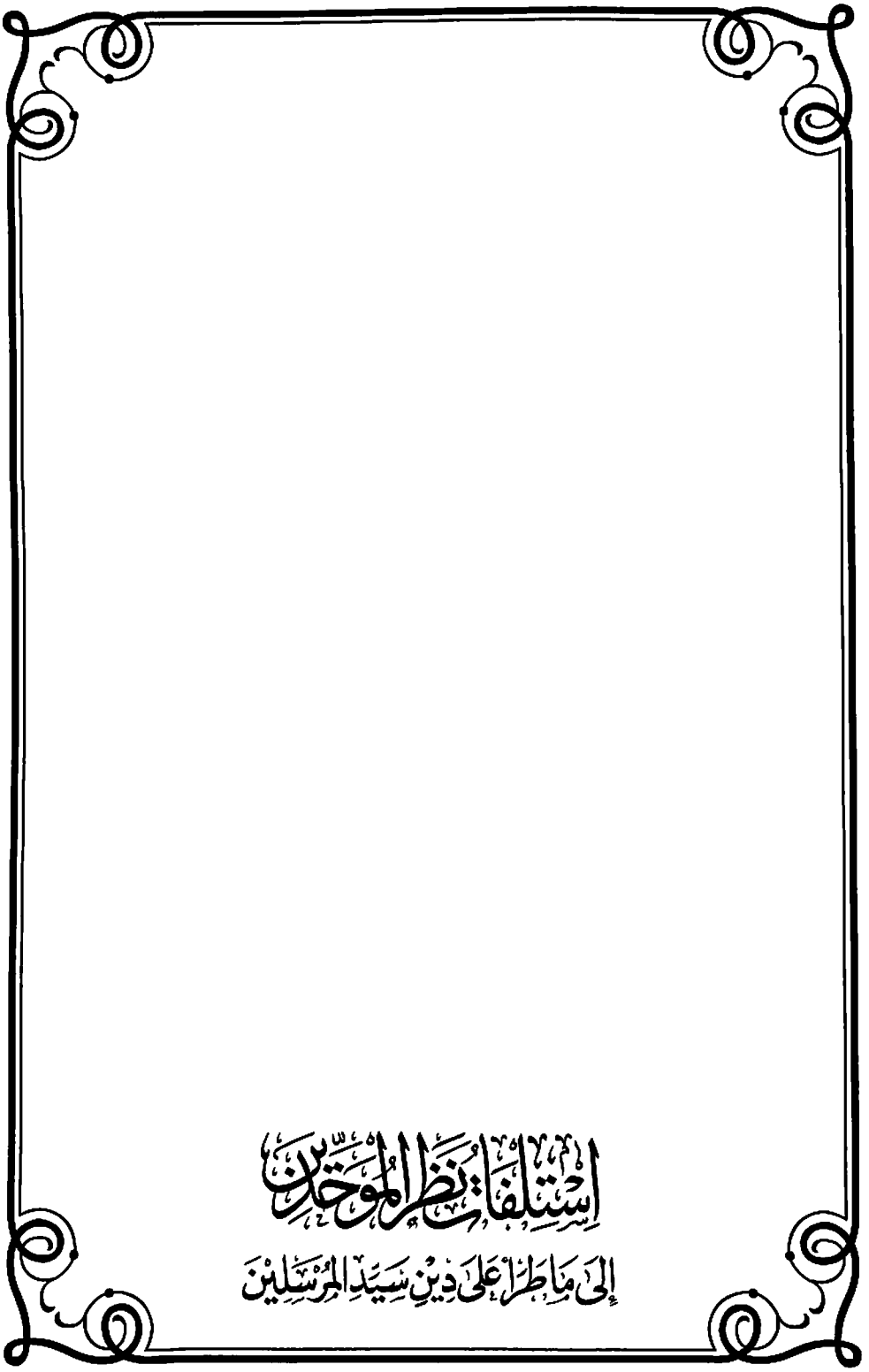
اِستِلفاتُ نظرِ الموحِّدِ
إلى ما طرأ على دِينِ سيِّدِ المرسَلِين

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

رقم الإيداع: ٢١٤٤/ ٢٠١٨
الترقيم الدولي: 987-977-6575-12-7

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لشركة الروضة للنشر والتوزيع، ولا يجوز طبع أي جزء من الكتاب أو ترجمته لأي لغة أو نقله ونسخه على أية هيئة أو نظام إلكتروني أو على الإنترنت دون موافقة كتابية من الناشر إلا في حالات الاقتباس المحدود بغرض الدراسة مع وجوب ذكر المصدر.

الروضة للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية - ٤ شارع بابل – الدقي - الجيزة
Email:dar.alrawda@gmail.com
تليفون: ٠٠٢٠١٠١٧٨٩٨٨٦٤/ ٠٠٩٦٦٥٠٥١٧٥١٠٠/ ٠٠٩٦٦٥٦٧١٣١٤١٦

التراث العلمي لمدينة جدة (٢)

استلفات نظر الموحدين

إلى ما طرأ على دين سيد المرسلين

تأليف

محمد بن حسين بن سليمان الفقيه

المتوفى سنة (١٣٥٥هـ)

إمام مسجد عكاش بجدة

تحقيق

د. خضر بن صالح بن سند

عضو هيئة التدريس بجامعة الباحة

الروضة للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة سلسة التراث العلمي لمدينة جدة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين.

وبعد:

فَدُونَكَ أيها القارئُ الكريم مشروعًا علميًّا حول مدينة جُدَّة، وقد بدأتُ هذا العمل قبل أربعةَ عشرَ عامًا، وتحديدًا في عام ١٤٢٤هـ، حينما طبعت كتاب: «تراجم علماء جدة من الحضارمة» وهو مخطوط لم يسبق طبعه، وقد لقي صدًىٰ طيبًا من القرَّاء، ونفدت نسخه من السوق في فترة وجيزة بحمد الله تعالىٰ.

وها هي حبَّات العقد في هذا المشروع تعود من جديد؛ لِتُنْظَمَ في عِقْدٍ جميل يضمُّ ألوانًا من التُّراث العلميِّ حول مدينة جُدَّةَ، وهي كتب نادرة، ومخطوطات كثيرٌ منها لم يُطْبَعْ سابقًا، ولا أُخْفِيكَ سِرًّا أيها القارئُ أنَّ عددًا من الأسئلة لا أُحْصِيهِ وُجِّهَ إليَّ، ويدور أكثرها حول محور واحد: وأي تاريخ عساك تبعثه لهذه المدينة؟! فإنها لم تُعْرَفْ إلا بالتِّجارة أو كونها محطَّة عبور للحجَّاج، هكذا كانت تَرِد الأسئلة.

وكنت لا ألوم عددًا من المحبِّين؛ لمعرفتي بقلَّة المطبوعات عن هذه المدينة العريقة، رغم وجود عدد لا بأس به من تراث علمائها السابقين، يحكي تراثها العلميَّ والأدبيَّ وجهود العلماء في نشر السُّنَّة والخير بين الناس.

ولكنَّ هذا التراثَ للأسف لا زال حبيسًا في خزائن المخطوطات، في أماكن متفرِّقة ودولٍ متباعدة.

وإنك واجدٌ بحول الله في هذه المجموعة التي تَضُمُّ صنوفًا شتَّىٰ من كتب الفقه والتَّاريخ والأدب، أنَّ هذه المدينة الساحليَّة مزيجٌ فريدٌ ورائعٌ؛ فهي مدينة لها طابعٌ دينيٌّ له خصائصه وأهمِّيَّته؛ ولذلك ذكرها العلماء في كتبهم، وصنَّف الفقهاء فيها مصنَّفات في الأحكام المتعلِّقة بها، أو في ذكر فضائلها والترغيب في سُكْنَاها.

وهي مدينةٌ علميَّة رحل إليها عددٌ من العلماء واتَّخذوها موطنًا، ودارًا للعلم، ونشر الخير بين النَّاس.

وستجدُ بإذن الله أيضًا ما يشدُّك إليها من تاريخ تجاريٍّ أو حضاريٍّ؛ فهي خزانة مكَّة ومنفذ التِّجارة الأكبر عبر البحر الأحمر.

وقد تحدَّث الشعراء منذ القرون الأُوَل في وصفها وفضلها؛ مما ستراه في ثنايا هذا العمل المتنوِّع.

ومدينة بهذا المزيج المختلط من الفضائل والتَّواريخ، تستحقُّ أن تدرس من جوانب شتىٰ؛ فهي حاضرة الحرم المكِّيِّ، وبوَّابة الحرمين، وخزانة مكَّة، وهي مدينة الثَّغر التي قال بعض العلماء: إن سُكْنَاها للرِّباط خيرٌ من سكنىٰ غيرها.

وقد وجدْتُ نفسي تندفع لجمع شيء من تراثها العلميِّ، ولكني رأيتُ أن حبَّات العقد متناثرة، بل تكاد تكون مجهولةً أو صعبةَ المنال، وما أقسىٰ جمع حبَّات لؤلؤٍ تناثرت في أرضٍ يَبَابٍ، حتىٰ غمرتها الرمالُ وبعثرتها الرياحُ، واحتاج جمع المادة العلميَّة والمخطوطات إلىٰ سَفَرَاتٍ متعددة لبلدان شتَّىٰ، ثم بدأت مرحلة المقابلة والتحقيق والصف، ونسأل الله الإعانة والتوفيق.

وهذا العمل للتعريف بهذه المدينة المهمَّة، وإعادة الحياة للمؤلَّفات

القديمة حتىٰ تسرَّ الناظرين، وتُيَسِّر للباحثين، وتساهم في التعريف بمدينة جُدَّة ونشر شيء من مكانتها الدينيَّة والثقافيَّة، وهي مدينة عظيمة يسكنها ملايين البشر من جنسيَّات متعددة وأعراق كثيرة، في تناغم جميل وتناسق مذهل.

وكنت علىٰ أمل أن يكون سيِّدي الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: صالح بن سعيد سند شاهدًا لهذه السِّلسلة، ولكنَّ إرادةَ الله قاضيةٌ علىٰ كلِّ شيء.

فهو من رعاني للعلم صغيرًا، ووجَّهني لدراسة العلوم الشرعيَّة والأدبيَّة، ووفَّر لي مكتبة منزليَّة كبيرة، فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء ووسَّع له في قبره، وجعله روضةً من رياض الجنَّة.

وإني لسائلك أيها القارئُ إذا وجدْتَ عيبًا أن تُساهم معي في إصلاحه، وأن تجعل قلم المراجعة للنُّصح والتَّوجيه، وسأكون شاكرًا لك في كل فائدة أو جديد، فإنَّما نحن جميعًا بقايا ذكريات عابرة تمرُّ علىٰ الأزمان، والعلم رَحِمٌ بين أهله، والكمالُ لله وحده.

والله الموفِّق والهادي إلىٰ سواء السبيل.

وكتبه

د. خضر بن صالح بن سند الغامدي

المقدمة

اللهم إنَّا نسألك نورًا نهتدي به في ظُلُمات الحياة، ونسألك بصيرةً نسلك بها سبيلَ العلماء، ونسألك اتِّباعا للسنة حتىٰ لا نغرق في بحر البدع والأهواء.

أما بعد؛

فهذه سلسلة علمية بديعة لعالم فريد، عاش هذا العالِمُ في مدينة جُدَّةَ، وأمَّ وخطب في أشهر جوامِعها، وعرفه علماءُ عصره، وصنَّف كتبًا كثيرةً، فأبدع وأجاد.

كتُبُه تُنبئ عن سعة علمه، وقد ترجم له عددٌ من معاصِريه، وترجم هو لنفسه، ولكن -للأسف- ظلَّت هذه الكتب حبيسةَ الأدراج في المكتبات مخطوطةً، تبحثُ عمَّنْ يعيدُ لها الحياة.

وقد وقفتُ -بحمد الله- علىٰ طائفةٍ كثيرةٍ من كتُبه، عندما بدأتُ بجمع التراث العِلميِّ لمدينة جُدَّةَ، فصوّرتُها وجهَّزتُها للطبع، وخدَمْتُها بما أظنُّه يفيد القارئَ، ويبعثُ الحياةَ فيها، فتصبح منارًا للعلم ومقصدًا لمُحبِّي منهج أهل السنة والجماعة.

وكُتُبُ الشيخ محمد بن حسين الفقيه تنوَّعتْ في مشاربها، وتعدَّدتْ أفكارُها، ولكنَّ الغالبَ عليها الاهتمامُ بعقيدة أهل السنة، وذمُّ أهل البدع والأهواء.

وهو من علماء مدينة جُدَّةَ الكبارِ قبل الحكم السعودي الزاهر.

وقد تُوفي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد إعلان تأسيس المملكة العربية السعودية بستتين ١٣٥٤هـ.

وقد تحمَّلَ المؤلِّفُ الأذىٰ والمَشاقَّ مِن أجل الدفاع عن الحقيقة التي حاول أهل البدع إخفاءها، ومَنْ يستطيع إطفاءَ ضوء الشمس أو طمسَ النور الذي جاء من عند الله؟!

وهذا العالم الجليلُ؛ كان أول كتابٍ طُبع له في رسالتَينِ علميَّتَينِ في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بعنوان: «**الكشف المبدِي لتَمْويهِ أبي الحسن السُّبْكِي**»، وهو كتابٌ جليل النَّفع، عظيم الفائدة، يدل علىٰ سعة علم المؤلِّف، وطولِ باعِه في العلوم، وقد وهِم المحققون الكرام حيث أشاروا إلىٰ أن الشيخ محمد بن حسين الفقيه ليس له إلَّا كتاب واحدٌ الذي عثروا عليه، وهو «الكشف المبدي».

وشاء اللهُ بعد ذلك بسنين أن تظهَرَ كثيرٌ من كنوز هذا العالم الجليل، فظَفَرْتُ من مؤلَّفاتِه بقرابةِ ٢٥ كتابًا، كلُّها مخطوطةٌ، أُعِدُّها الآن للطباعة والنشر تِباعًا -بإذن الله- لِتنضمَّ إلىٰ ما بدأه الفُضلاءُ من قبلي.

وكانت ترجمتُه قبل ٢٥ سنة يسيرة عندما طُبع كتاب «الكشف المبدِي»، وقد شاء الله مع مرور الزمن ووجود مخطوطات كتبه أن نظفر له علىٰ تراجمَ موسَّعة فيها رحلاته ومشايخه ومؤلفاته، ممَّا يزيد القارئَ اطِّلاعا علىٰ المؤلِّف وحياته، ويُضفي شيئًا من اكتِمال الصورة عنه.

والمؤلِّف عالمٌ جليلٌ، وُلِدَ في مصر قبل مطلع القرن الرابع عشر الهِجري، ثم انتقل إلىٰ جُدَّة واستوطنها حتىٰ وفاته، ورحل لعلماء الشام والسودان، والْتقىٰ

بعشرات العلماء الذين قدِموا للحجاز، ولذلك تنوعتْ معارفُه، وتعدَّد مشايخُه.

وقد ظهر أثرُ هذا التنوع علىٰ مصنَّفاتِه التي حَمَلتْ طابِعًا خاصًّا به، وهو الدفاع عن منهج أهل السنة ومُحاربة البدعة، وكان إمامًا وخطيبًا لجامع عكّاش الشهير في قلب جُدَّة القديمة.

وأسألُ اللهَ أن يجعل هذا العملَ خالصًا لوجهه، وأن يرزقنا حبَّه وحبَّ نبيِّه، وأن يرزقنا حبَّ السُنَّة ويوفِّقنا للعمل بذلك، وأن يَجزيَ المؤلفَ خيرَ الجزاءِ، ويُسبِغَ عليه واسِعَ رحمتِه ومغفرتِه.

كتبه

د/ خضر بن صالح بن سند

أولًا: أهمية الكتاب

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بالتوحيد، القائلِ في كتابه المجيد: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

والصلاةُ والسلام علىٰ هادم عقائدِ الكفر والضلال، ومبين الهدىٰ والرشاد، نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

وبعد:

فإن الكلامَ في المخالفات والبدع التي طرأَتْ علىٰ الدين الإسلامي، لمن الأهمية بمكان؛ فبه يتضح سبيل الهدىٰ من سبل الضلال، ويُعْرَفُ الحق من الباطل، وتُقام الحجة علىٰ الجاهل، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: ٥٥].

ومن هنا تتضح أهمية الموضوع الذي يحتويه هذا الكتاب، وأهمية الكتاب بأهمية ما يحتويه؛ وليس الغرض من التأليف التطويل الممل، والإسهاب المخل، بل الإيجاز مع التنقيح والتحقيق.

وهذا العِلْقُ النفيسُ تناول فيه مؤلفه التغيراتِ والتطورات التي طرأت علىٰ الدين الإسلامي، منذ تولىٰ عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الخلافة؛ حيث يقول المؤلف: «ففي زمان هذين الخليفتين ظهرت مبادئُ الرَّوافض والخوارج والمعتزلة بأسبابٍ قومٍ دخلوا في الإسلام لا رغبةً فيه، بل دخلوا فيه لِيُفسدوه علىٰ أهله، وساعدهم القَدَرُ، فتوصَّلوا إلىٰ

مقاصدهم السَّيِّئة بأنواعٍ من الحِيَل والمَكائد؛ كعبد الله بن سبأ وأضرابه، فمِن ذلك الحينِ ظهر التَّشيُّع والتَّعصُّب، فتعصَّب وتشيَّع كلُّ فريقٍ إلىٰ أناسٍ مخصوصين أو إلىٰ بعض الأفراد، ولكن هذا كان قليلًا بالنِّسبة إلىٰ الزَّمان الذي بعده». وأخذ يرصد المؤلف البدعَ والضلالات التي أُلْصِقَتْ بالدين إلىٰ عصرنا الحاضر، وجعل ذلك سهلًا علىٰ الطالبين، قريبًا من الراغبين، اهتم فيه بإيضاح المشكلات وبيان المجملات، فوصف فيه ولَخَّصَ، وشرح وأطنب، وأتىٰ ببرهان قاطع، وبيان ساطع.

وما تناوله المؤلف في غاية الأهمية للعامة قبل الخاصة؛ حتىٰ لا يهدُون بغير هديه ﷺ، ولا يقتدون بغير سنته ﷺ.

وقد بدأ المؤلف رحلته في الكتاب، من جزيرة العرب قبل بعثة النبي ﷺ؛ حيث عرض ما كانوا فيه من ظلام دامس، وجهل مُدْقِع، وغابةٍ يأكل القوي فيها الضعيف، وطقوس وعبادات وآلهة ما أنزل الله بها من سلطان.

ثم انتقل إلىٰ مرحلة النور الذي جاء ببعثة النبي ﷺ، وأوضح كم لاقىٰ من المعاناة من أجل إزاحة هذا الظلام، حتىٰ اكتمل الدين وأتم الله عليهم النعمة.ثم سار بالرحلة بعد ذلك إلىٰ الخلفاء الراشدين وكيف كان الأمر مستقيمًا في عهد الصديق والفاروق وحينًا من عهد عثمان رضي الله عنهم؛ حتىٰ توالت الفتن بمقتل عثمان، وظهرت الفِرَق في عهد علي بن أبي طالب كالشيعة والخوارج، وغيرهم ممن أرادوا هدمَ الإسلام.

ثم انتقل المؤلف إلىٰ الخليفة السابع من بني العباس، وهو المأمون الذي أحدث فتنة خلق القرآن، وقام بترجمة كتب الفلاسفة واليونان، فاتسع الخرق علىٰ الراقع، وعانىٰ أهل السنة من البلاء أشده وأعظمه.

ثم تكلم عن ظهور المذاهب الأربعة في الفقه، ومع ظهورها ظهر التعصب لها، فكان أتباع كل مذهب -إلا من رحم الله- ينصرون مذهبهم بكل صحيح وسقيم، ويضعفون أدلة غيرهم ويؤولونها، حتىٰ وإن كان ذلك لا يستقيم.

ثم ظهر في هذه الآونة طائفة سلكت طريق التقشف والزهد والعزوف عن الدنيا، وهم الصوفية، لكن غالىٰ بعضهم في التصوف، حتىٰ صارت لهم مذاهب وطرق، وجاءوا بأقوال وأفعال ترفضها الشريعة المطهرة.

وهؤلاء القوم دخلوا للناس من باب العبادة والصلاح، واخترعوا أحاديث باطلة، مثل: «توسلوا بجاهي»، «من كان له عند الله حاجة فليتوسل بخديجة»، وغير ذلك من الأباطيل، فخُدِع بهم من ليس عنده بصيرة وعلم من القرآن وصحيح السنة.

وألف هؤلاء كتبًا في فضل أوليائهم وكراماتهم، وفضل زيارة قبورهم، حتىٰ صنف أحدهم كتابًا سماه: «وجوب الحج إلىٰ مشاهد الأولياء»، وصار لكل ولي طريقة ومذهب؛ كالرفاعية، والشاذلية، والأحمدية، والدسوقية، والنقشبندية، وغيرهم الكثير.

ومن أبرز المتصوفة وهو حامل لواء نشر علمهم، أبو حامد الغزالي صاحب «الإحياء»، الذي أدخل فيه كثيرًا من مذاهب المتصوفة والفلاسفة والمتكلمين، ومن بعده ابن عربي صاحب «الفتوحات المكية»، وتبعهم الشاذلي، وابن عطاء الله السكندري، وغيرهم.

ثم ظهر المتكلمون، أتباع الفلاسفة والجهمية، فتكاتفوا وتعاونوا علىٰ هدم الإسلام، بجحد صفات الرب سبحانه، وإنكار عذاب القبر، ووزن الأعمال والصراط وغير ذلك مما يجب اعتقادُهُ عند أهل السنة، وأسسوا بينهم قاعدة

وهي: إذا تعارض العقل مع النقل قدموا العقل، ورفضوا النقل أو أَوَّلُوه.

وألَّفوا في ذلك كتبًا كثيرة، فحكَّمُوا في النصوص العقولَ ولم يبالوا بالمنقول؛ مما جعل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يؤلف كتابه النفيس: «**درء تعارض العقل والنقل**».

وأجمع أهل الكلام علىٰ أن الله لم يتكلم بالقرآن، وإنما يطلق عليه كلام الله مجازًا؛ كبيت الله وناقة الله، وخالفوا في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، وغيرها من النصوص الصريحة التي تثبت أنه كلام الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الحقيقة.

وانقسموا طوائف؛ كالأشعرية، والماتريدية، والجبرية، والمرجئة، وغيرهم، وأدخلوا في تفسير القرآن، وأحاديث النبي ﷺ ما يؤيد مذاهبهم.

ومن أبرز المتكلمين: فخر الدين الرازي، الذي نشر علم الكلام والفلسفة، وأقوال الحكماء، صاحب كتاب تفسير «**مفاتيح الغيب**»، و«**المحصول**»، و«**تأسيس التقديس**». والزمخشري صاحب «**الكشاف**»، وغيرهم.

وفي مقابل هؤلاء قام رجال بالتمسك بالسنة الصحيحة، وما كان عليه الجيل الفريد من الصحابة والتابعين، ولكنهم وللأسف كانوا قليلًا بالنسبة لغيرهم، فقام مخالفوهم بتمزيق كتبهم وحرقها وتشويهها بالتأويلات الفاسدة، والآراء الكاسدة، ولم يَسْلم منهم إلا النذر اليسير.

ثم بعد هذه الرحلة التاريخية والكلام علىٰ الفِرَق، انتقل المؤلف رحمه الله تعالىٰ إلىٰ الحديث عن الكتب الإسلامية بفروعها المختلفة، وما طرأ عليها:

فأما كتب التفسير: فقد حذفت منها الأسانيد، طلبًا للاختصار، فضاعت

الأقوال، واختلط الحابل بالنابل، والغث بالسمين، وصارت معرفة الحق عسيرة إلا علىٰ من رحم الله، كما تم شحنها بالإسرائيليات، والقصص المخترعة، وصارت كل فرقة تفسر القرآن علىٰ ما يوافق مذهبها وينصر طريقتها.

وجاء المتصوفة فزعموا أن للنصوص ظاهرًا وباطنًا، وأنهم أهل الباطن والمكاشفة، فصاروا يخالفون صريح النصوص، بما يزعمونه باطن المعنىٰ، ومن ذلك ما فعل السُّلَمِي في: «**حقائق التفسير**»، وابن عربي في: «**عرائس البيان**»، وإسماعيل حقي في: «**روح البيان**».

أما كتب الفقه: فترىٰ أتباع كل مذهب يَسْعَوْنَ إلىٰ نصرة مذهبهم بتأويل النصوص الصريحة والأحاديث الصحيحة التي تخالف المذهب، وجاء المتأخرون فكل من استحسن شيئًا أو رأىٰ رأيًا سطره في كتابه ونسبه إلىٰ مذهب من المذاهب الفقهية؛ كمذهب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وهم لم يقولوا بهذا قَطُّ.

وأما كتب الحديث: فلم تسلم من وضع الكذابين، ومن الأقوال الواهية، والضعيفة، إلا القليل.

وأما كتب التصوف: كالإحياء وغيره، فلم تعتنِ بالأحاديث الصحيحة، فصرت ترىٰ فيها الكذب علىٰ رسول الله ﷺ، وشُحِنَتْ بمذاهب الفلاسفة وطرقهم.

وختامًا؛ فهذا مُؤَلَّفٌ مختصرٌ وجيزٌ، يُعَدُّ مصدرًا معدودًا في بابه، ولم تقتصر قيمته العلمية علىٰ جانب بعينه، بل أثراه مؤلفه بالمعلومات القيمة المتعلقة بالتفسير، والحديث، والفقه، وعلم الكلام، والتصوف، وبعض ما تم تصنيفه في هذه العلوم.

ولعلك تجدُ في هذا المصنَّفِ ما تقوم به الحجة، وتتضح به المحجةُ، وما يُشفي الغليل، وينفي الجهل بإيضاح المقال والتعليل، والله الهادي إلىٰ سواء السبيل.

ثانيًا: ترجمة المصنف

اسمه:

محمد بن حسين بن سليمان بن إبراهيم[١].

مولده:

ولد ببلدة بَسْترة[٢]؛ وهي من أعمال مديرية دمنهور من إقليم مصر، التابعة إلىٰ محافظة البحيرة حاليًّا[٣]، ويقول الشيخ محمد حسين بأن هذه القرية تقع علىٰ فم الترعة المشهورة بالخطابية، ويقال بأن سبب تسميتها بهذا الاسم؛ هو لأن سيدنا عمر بن الخطاب هو من أمر بحفرها[٤].

وقد نص الشيخ محمد نصيف رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ أنه ولد سنة ١٣٠٤هـ[٥].

والصحيح أنه لم يولد في هذه السنة، فقد جاء في ترجمة الشيخ محمد حسين لنفسه أنه قال: «وكانت ولادتي في سنة اثنتين وتسعين بعد المائتين والألف ١٢٩٢هـ»[٦].

نشأته:

نشأ يتيمًا في بيت علم ودعوة؛ حيث إن والده توفي وهو في عمر السابعة، ثم

---

(١) المؤلف قد ذكر اسمه في مقدمة كتابه الكشف المبدي (ص ٥٥)، وأيضًا ذكره في سيرته الذاتية، وذكره أيضًا في إجازته للشيخ سليمان الصنيع.

(٢) بَسْتَرَة: مدينة قد ذكرها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان (١/ ٤١٩).

(٣) ويقال لها الآن: بسطرة.

(٤) انظر: سيرة الشيخ محمد حسين الفقيه.

(٥) مجلة المنهل (٦/ ١٠٥).

(٦) انظر: سيرة الشيخ محمد حسين الذاتية.

كفله عمه إسماعيل بن سليمان، وكان يرسله إلىٰ المكتب[١]، فحَفِظَ فيه القرآنَ كاملًا، وتعلم فيه مبادئ اللغة العربية، وشيئًا من مبادئ الفقه.

صفاته الخِلْقيَّة:

لقد كان الشيخ محمد حسين الفقيه كفيفَ البصر منذ ولادته[٢].

رحلاته إلى البلدان:

[الرحلة الأولى]

بدأ الشيخ محمد حسين رحلاته لما بلغ السادسة عشر من عمره، فرحل إلىٰ الحجاز لأداء فريضة الحج[٣]، ويقول الشيخ عن نفسه في سيرته الذاتية: «ثم حبب الله إلي الإقامة بها، فأقمت في ثغر جدة لحكمة يعلمها سبحانه، فجودت بها القرآن الكريم، وقرأته بالروايات السبعة، وقرأته أيضًا بالقراءات العشرة، وقرأت علم النحو والصرف، والأصول، والتوحيد، والحديث، والفقه علىٰ مشايخ عدة».

[رحلته الثانية]

في عام ١٣٢٩هـ رحل الشيخ إلىٰ الشام، ونزل فيها هنالك عند العلامة الكبير جمال الدين القاسمي.

ويحكي الشيخ عن تلكم الرحلة فيقول: «فحططت رحلي عنده، وقلت: يا نفسي نلت المنىٰ فاستبشري وسلي، وهذا الإمام قد أُعطي شيئًا فوق العلم، وهو الإنصاف

---

(١) وهو ما يعرف الآن بالكُتَّاب، يذهب إليه الطالب ليتعلم القرآن الكريم وشيئًا من مبادئ اللغة العربية.

(٢) وقد ذكر هذا عن نفسه في رده علىٰ الدجوي (ص ١٥).

(٣) وقد نص الشيخ محمد حسين الفقيه في إجازاته إلىٰ الشيخ سليمان الصنيع أنه سافر إلىٰ البلاد المقدسة سنة ١٣١١هـ، وعليه يكون عمره تقريبًا ١٩ سنة، وليس ١٦ سنة، كما ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ.

وترك التعصب للمذاهب والنحل، وكان شديد الميل إلىٰ توحيد كلمة المسلمين، فقرأت علىٰ هذا الأستاذ كثيرًا من علوم التفسير، والحديث، وفلسفة الشريعة، وانتفعت كثيرًا في هذه الرحلة، فقد قرأت بدمشق علىٰ الإمام الكبير الشيخ عبد الرزاق البيطار الميداني، والشيخ بدر الدين التونسي وغيرهما، وانتفعت من إخواننا الفضلاء طلبة العلم هناك، مثل: الشيخ محمد أفندي كرد علي، محرر مجلة المقتبس، والشيخ محمد توفيق البزرة، والشيخ عبد المجيد وصفي، ثم رجعت بعد ذلك إلىٰ ثغر جدة»[١].

[الرحلة الثالثة]

يقول الشيخ: «ثم سافرت إلىٰ السودان، فانتفعت بفضلائها، مثل: الأستاذ محمد أفندي علي، والأستاذ الشيخ عبد المجيد وصفي، ثم رجعت بعد ذلك إلىٰ محل إقامتي بمدينة جدة»[٢].

ذريته:

في عام ١٣٢٧هـ رُزِقَ الشيخ بأحمد، لكنه تُوُفِّيَ قبل بلوغه، وفي عام ١٣٤٢هـ وفي اليوم الرابع عشر من شهر الله المحرم رُزِقَ الشيخ بعائشة، وفي شهر ذي القعدة في اليوم التاسع منه، سنة ١٣٤٢هـ رُزِقَ الشيخ بغلام وسمَّاه محمد حامد[٣].

مكانته العلمية في جدة:

كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إمامًا وخطيبًا لمسجد عكاش بمدينة جدة[٤].

---

(١) سيرته الذاتية.

(٢) نص علىٰ هذا في إجازته للشيخ الصنيع.

(٣) سيرته الذاتية.

(٤) مسجد عكاش أو عكاشة: يقع داخل مدينة جدة، قبيل رأس شارع قابل الغربي، وقد بناه أو

ثناء العلماء عليه:

قال عنه الشيخ محمد نصيف: «واظب الشيخ محمد علىٰ دروس العلماء، وحرص أشد الحرص علىٰ التحصيل، فقلما يفوته درس مع أنه كان كفيف البصر، وانتفع بالمواظبة وصار عالمًا، واقتنىٰ مكتبة كبيرة، وأصبح يدرس للناس علوم التفسير والحديث، وانتفع بعلمه خلق كثير»[١].

وقال عنه الأستاذ عبد القدوس الأنصاري: «كان الشيخ محمد بن حسين حريصًا علىٰ طلب العلم جادًّا فيه، واقتنىٰ مكتبة كبيرة، وأصبح عالمًا يشار إليه بالبنان، ودرَّس للناس التفسير والحديث»[٢].

شيوخه:

أولًا: شيوخه من علماء مصر:

١- الأستاذ الشيخ سيد خطاب، قرأ عليه القرآن كاملًا من أوله إلىٰ آخره، ثم قرأه عليه مرة أخرىٰ من أوله إلىٰ سورة الأنفال.

٢- الشيخ سلام بن عبد الله، أكمل عليه من سورة الأنفال حتىٰ ختم القرآن[٣].

٣- خطاب بن خليل لبدة القاضي ببلدة بشرو[٤]، درس عليه فقه الإمام مالك.

= جدد بناءه عكاشة أباظة، ثم جدد بناءه عام ١٢٨٠هـ، ثم جدد بناءه بالأسمنت عام ١٣٧٩هـ. انظر: تاريخ جدة (ص ٣٣٩) لعبد القدوس الأنصاري.

(١) مجلة المنهل (٦/ ١٥٠).

(٢) انظر: موسوعة تاريخ جدة (ص٣٥٠)، ومكتبته الكبيرة المشار إليها قد ذهبت وتفرقت، وبقي منها أجزاء كثيرة في مكتبة الشيخ محمد نصيف، وبعضها وجد في مكتبة مدارس الفلاح بجدة.

(٣) نصَّ علىٰ هذا في إجازته للشيخ سليمان الصنيع.

(٤) بشرو: هي إحدىٰ قرىٰ مدينة دمنهور، ويقال لها أيضًا: بسطرة.

٤- محمد بن إسماعيل بن سليمان ابن عم الشيخ محمد حسين، فقد قرأ عليه القرآن بالتجويد وشيئًا من الفقه والنحو.

٥- الشيخ خطاب بن خطاب، وهو ابن عم والده، فقد سمَّع عليه شيئًا في فقه الإمام أبي حنيفة.

٦- الشيخ عمر بن حاج خطاب بن إسماعيل، وهو ابن عم والده أيضًا، فقد سمَّع عليه شيئًا في فقه الإمام مالك.

٧- السيدة مبروكة بنت الشيخ عثمان بن إسماعيل ابنة عم والده، فقد قرأ عليها شيئًا من القرآن، ومتون التوحيد وبدء الأمالي.

ثانيًا: شيوخه من علماء جدة والحجاز:

١- الشيخ أحمد بن محمد الزهرة، فقد قرأ عليه ختمة للأئمة السبعة.

٢- الأستاذ السيد أحمد بن السيد حامد الأبوتيجي، قرأ عليه ختمة للأئمة العشرة[١].

٣- الشيخ محمد بن موسىٰ الجداوي، فقد قرأ عليه القرآن.

٤- الشيخ محمد بن عبد الله الطنطاوي، قرأ عليه القرآن.

٥- الشيخ المقرئ حسين بن مصطفىٰ الدمياطي، فقد قرأ عليه القرآن.

٦- الشيخ درويش المكي، فقد قرأ عليه القرآن.

٧- السيد محمد بن السيد حامد الحجازي، فقد قرأ عليه النحو والصرف، والحديث، والأصول، والتفسير، وغير ذلك[٢].

---

(١) له ترجمة في الدليل المشير للحبشي (ص ٣١)، وتاريخ جدة للأنصاري (ص ٣٥٠)، وذكر أنه كان مدرسًا بمدارس الفلاح بمكة.

(٢) يقول عنه الشيخ محمد بن حسين الفقيه في إجازته للشيخ الصنيع: «فقد لازمته ملازمة الظل للإنسان، من عام ١٣١١هـ إلىٰ قبيل وفاته بقليل سنة ١٣٣٠هـ».

٨- محمد بن سالم الشنقيطي.

٩- الشيخ محمد بن أبي بكر الشنقيطي، فقد درس عليه الفقه والحديث.

١٠- الشيخ بدر الدين بن محمد المغربي، فقد قرأ عليه الفقه والتفسير.

١١- الشيخ أبو بكر بن محمد عارف بن عبد القادر خوقير الأثري الحنبلي، فقد أجازه[١].

١٢- إسماعيل الهتاري اليمني، فقد أجازه.

١٣- الشيخ أحمد بن علي، أبو صبرين الحضرمي[٢].

١٤- أحمد بن حامد المدني المصري، من أكابر القراء، قرأ عليه القرآن بالقراءات.

١٥- أحمد عجلان الحضرمي.

١٦- أحمد بن إبراهيم بن عيسىٰ النجدي.

١٧- عبد الستار الهندي المكي.

ثالثًا: شيوخه من علماء الشام:

١- الشيخ محمد جمال الدين القاسمي، فقد لازمه كثيرًا، وقرأ عليه الفقه، والتفسير، والحديث، وفلسفة الشريعة.

٢- الشيخ عبد الرزاق البيطار الميداني.

٣- الشيخ بدر الدين التونسي.

٤- محمد توفيق البزرة.

٥- حامد بن أديب الثقفي.

٦- محمد كرد علي، انتفع به كثيرًا.

---

(١) تحدث عنه في إجازته للشيخ الصنيع، فأثنىٰ عليه ثناءً عاطرًا فقال عنه: الأستاذ السلفي الصالح الأثري الحنبلي الشيخ أبو بكر خوقير، فقد أجازني بما يتضمنه ثبته الحافل، وهو عندي بخطه ولله الحمد والمنة.

(٢) وقد ذكر العميري في علماء جدة الحضارمة أنه من ضمن شيوخه.

رابعًا: شيوخه من علماء السودان:

١- محمد أفندي علي.

٢- الأستاذ الأديب الشيخ عبد المجيد وصفي[١].

تلاميذه[٢]:

١- الشيخ بكر إدريس تكروني.

٢- الشيخ حمزة سعداوي.

٣- الشيخ محمد صالح أبو زنادة.

٤- الشيخ محمد بن يوسف علي باشميل.

مؤلفاته:

١- تحرير أقوال علماء الدين.

٢- العجالة في تخريج حديث: «**وكل بدعة ضلالة**».

٣- القول الفصل في وجوب التحاكم إلىٰ أدلة النقل.

٤- الشهب المرمية علىٰ التيجانية.

٥- تكملة الصارم المنكي.

٦- رسالة في تعريف علم الحقيقة والشريعة[٣].

٧- أريج المسك والعطر في بيان حكم زكاة الفطر.

---

(١) ذكر ذلك في إجازته للشيخ سليمان الصنيع.

(٢) انظر: مقدمة تحقيق كتاب الكشف المبدي للشيخ صالح بن علي المحسن، والشيخ أبي بكر بن سالم شهال.

(٣) إلىٰ هنا قد ذكرهم في ترجمته الذاتية.

٨- تعريف الخلف بحال السلف.

٩- تشييد الباب في تخريج حديث: «إذا وقع الذباب».

١٠- رسالة في تقريظ ونقض كتاب: الفكر السامي للحجوي.

١١- تخريج الأوجه في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْقَرَنَ﴾ علىٰ طريقة ورش.

١٢- رد بعض المسائل في كتاب: فصل الخطاب.

١٣- معرفة المسائل في علم القراءات.

١٤- رسالة في بيان أغلاط السيد عبد الحي الكتاني في كتابه: فهرس الفهارس.

١٥- قانون الخطباء والأئمة والمؤذنين.

١٦- بيان الأحاديث التي أوردها الحلي في فضائل علي.

١٧- أربع مسائل في مهمات الدين.

١٨- استلفات نظر الموحدين إلىٰ ما طرأ علىٰ دين سيد المرسلين - وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

١٩- هداية الفكر إلىٰ معرفة حديث: «أفضل الذكر».

٢٠- الرد علىٰ يوسف الدجوي.

٢١- تحرير أقوال علماء الدين إلىٰ حكم أخذ الأجر علىٰ القرآن، وإهداء ثواب تلاوته إلىٰ الأموات.

وفاته:

تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ صبيحة يوم الأربعاء، الموافق السابع من شهر صفر من سنة ١٣٥٥هـ، ودفن بمقبرة الأسد بمدينة جدة[1].

---

(١) انظر: مقدمة تحقيق كتاب الكشف المبدي.

مصادر الترجمة

١- الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي للمؤلف (مقدمة المحققين).

٢- مجلة المنهل (٦/ ١٥٠).

٣- علماء جدة الحضارمة (ص ٥٦- ٥٧) بتحقيق د/ خضر بن سند.

٤- موسوعة تاريخ جدة (ص ٣٣٩) عبد القدوس الأنصاري.

٥- رد الشيخ محمد حسين الفقيه علىٰ الدجوي (ص ١٥) مخطوط.

٦- ترجمته الذاتية الملحقة بكتابه: تحرير أقوال علماء الدين، وهي أوسع التراجم له.

٧- إجازته للشيخ سليمان الصنيع، مخطوط بجامعة الملك سعود بالرياض، تم طبعه ضمن كتاب الثمر الينيع في إجازات الصنيع (ص ٣٣٩).

ثالثًا: منهج العمل في الكتاب

١- تم نسخ الكتاب.

٢- تمت قابلة النص المنسوخ علىٰ النسخة المنسوخ منها؛ وذلك لضمان جودة النص، وخلوه من تحريفات النساخ إلىٰ غير ذلك.

٣- تم الاعتماد في تصحيح الكتاب علىٰ القواعد الإملائية الحديثة، وتم وضع علامات الترقيم المناسبة التي تعين علىٰ فهم النص، وكذا وضع الفقرات.

٤- تم ضبط ما أشكل من الكلمات بنيةً وإعرابًا.

٥- تم شرح الغريب، والتعليق علىٰ بعض الجمل الغامضة.

٦- تم عزو الآيات القرآنية.

٧- تم تخريج الأحاديث والآثار من أُمَّات كتب السنة.

٨- تم عزو الأقوال التي ذكرها المؤلف إلىٰ مصادرها، فإن لم تتوفر تم العزو إلىٰ من نقلها عن أصحابها.

٩- تم تعريف البلدان والمواضع.

١٠- تم وضع مقدمة للكتاب، فيها الآتي:

أولًا: أهمية الكتاب.

ثانيًا: التعريف بمؤلف الكتاب.

ثالثًا: منهج العمل في الكتاب.

١١- تم وضع الكشافات والفهارس العلمية اللازمة:

أولًا: كشاف للآيات.

ثانيًا: كشاف للأحاديث والآثار.

ثالثًا: كشاف للأعلام.

رابعًا: كشاف للبلدان والمواضع.

١٢- تم وضعنا ثبت للمصادر والمراجع.

النص المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

[المقدمة][1]

الحمدُ لله رب العالمين، نستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفُسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يُضلِلِ اللهُ فلا هاديَ له، ومن يهدِ اللهُ فلا مُضلَّ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، أرسله بالهُدىٰ ودين الحقِّ ليُظهرَه علىٰ الدِّين كلِّه ولو كره المشركون. وبعد؛

فإنَّ النَّصيحةَ لله ولكتابه ولرسوله ولسنَّته ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم وخاصَّتهم- واجبةٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ وجد لذلك سبيلًا، وكنتُ ممَّن قام ببعض ذلك ولله الحمد، ولما أُسنِدت إليَّ وظيفةُ: رئيس هيئة مُراقبة المدارس والمُدرِّسين والكتب. رأيتُ أنَّ هذا الأمر من أوجب الواجبات عليَّ، ونظرتُ في المدارس والمدرِّسين، والكتب الواردة من الخارج إلىٰ الحجاز، فوجدتُ كلَّ ذلك يحتاج إلىٰ إصلاحٍ عظيمٍ، ولم يكن بيدي جدولٌ يتضمَّن أسماء الكتب الممنوعة علىٰ المدرِّسين والمدارس، ولا نظامٌ يشمَل [ذلك][2]، فأجهدتُ الفكرَ في تأسيس قوانينَ تكون كافلةً بنظام المدرِّسين والمدارس والكتب، ومتضمِّنةً ما سمعتُه من الكلمات الجوهريَّة، والحِكم السنيَّة النبويَّة،

---

(١) العناوين الجانبية وضعناها من عندنا زيادةً للتوضيح والبيان.

(٢) في الأصل: لذلك.

التي شافهني بها سيِّدي شيخُ الإسلام، وبَرَكة الأنام، السُّنِّيُّ السَّلفيُّ، المخلص لدينه وقومه ووطنه، مولانا رئيسُ القُضاة؛ الشَّيخ عبد الله بن حسن[1] -سلَّمه الله من الهمِّ والحزَن- وكيف لا يكون ذلك؟! وهو حفيدُ شيخ الإسلام حُجَّةِ الله علىٰ الخلق أجمعين، المجدِّد للقرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر، مولانا وقدوتنا؛ الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب، روَّح الله روحَه، وبرَّد مضجعَه، وأسكنه بُحبوحة جنَّته، وتغمَّده برحمته.

وقد وضَعت أولًا قانونًا للمدرِّسين مشتملًا علىٰ ثمانٍ وعشرين مادَّةً، وسأُتبعه -إن شاء الله تعالىٰ- بقانونٍ [يشتمل][2] علىٰ نظام المدارس والكُتب، ورأيتُ مِن الواجب أن أُقدِّم أمام المقصود جُمَلًا تكون لهذه القوانين كالمقدِّمات، يُستنتج منها هذه القوانين، وتسهل علىٰ الجامد الحشويِّ، إذا سَمع أنَّ الحكومة -أعزَّها الله- قد منَعت من دخول كتابٍ في بلادها العربيَّة، أو من إقرائه في المدارس والدُّروس العامَّة والخاصَّة، فإنَّ الأمر كما قيل: «إذا ظهر السبب بطل العجب».ومِن الله أستمِدُّ التَّوفيق، والهداية إلىٰ أقوم طريقٍ، فهو حسبي ونعمَ الوكيل.

---

(١) عبد الله بن حسن بن حسين بن علي بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب النجدي، ولد سنة ١٢٨٧هـ، اختاره الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ ممَّن اختارهم للدعوة إلىٰ الله في الهجر، تولىٰ منصب رئيس القضاة، وكان من خيرة أهل زمانه، توفي سنة ١٣٧٨هـ. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ (ص ١٢١).

(٢) في الأصل: يشمل.

[حال العرب قبلَ البعثة النَّبويَّة]

مِن البديهيِّ المقرَّر عند أهل العقول السَّليمة والفِطرة النَّيِّرة؛ أنَّ النَّاس جميعًا كانوا قبل بعثة نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ في جهلٍ عظيمٍ، وفي ظُلمةٍ كظلمة اللَّيل البَهيم، كانوا لا [يُفرِّقون][1] بين حلالٍ وحرامٍ، وحسنٍ وقبيحٍ، كانوا في الهَمَجيَّة علىٰ جانبٍ تَأْبَاهُ العقول، وتَنفِر منه الطِّباعُ والأذواقُ، كانوا يَئِدُونَ البنات، ويفعلون المُنكَرات، من غير مُبالاةٍ منهم في ذلك، كانوا يعبُدون الأحجار والأشجار، والكواكب والملائكة والصالحين، والشمس والقمر والنار، كانوا يَدينون الله بتسيِيب السَّوائب[2] والبَحَائر[3] والحَوامي[4]، كانوا لا يعرفون معروفًا، ولا يُنكِرون منكَرًا، كانوا يتقرَّبون إلىٰ آلهتهم بالذَّبائح والنُّذور، وإيقاد السُّرُج علىٰ قبورهم، كانوا يَدينون بالطِّيَرة والتَّشاؤم، وزَجر الطَّير[5] وتعليق التمائم، والتِّوَل[6] والسِّن والعظم والحلقة والخيط،

---

(١) في الأصل: يعوفون.

(٢) جمع سائبة: وهي الناقة التي ينذر صاحبها لعودته من سفر، أو برئه من مرض، أو غير ذلك، فتُترك فلا تُمنع من ماء ولا مرعىٰ، ولا تُحلب ولا تُركب. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٣١).

(٣) البَحِيرة: كانوا إذا ولدت إبلُهم سقبًا بحروا أذنه: أي شقُّوها، وقالوا: اللَّهم، إن عاش ففتي، وإن مات فذكي، فإذا مات أكلوه وسمَّوه: البحيرة. وقيل: البحيرة بنت السائبة. انظر: النهاية لابن الأثير (بحر).

(٤) جمع حام، والحامي: الفحل من الإبل، يضرب الضراب المعدود؛ قيل: عَشرة أبطُن، فإذا بلغ ذلك، قالُوا: هذا حامٍ؛ أي: حمىٰ ظهره، فيترك فلا ينتفع منه بشيء، ولا يمنع من ماء ولا مرعىٰ. ينظر: لسان العرب (حمي).

(٥) أي: التشاؤم بأسماء الطيور وأصواتها وألوانها، وجهة سيرها عند تنفيرها وزجرها، كما يتفاءل بالعقاب علىٰ العقوبة، وبالغراب علىٰ الغربة، وبالهدهد علىٰ الهدىٰ، وكما ينظر إن طار إلىٰ جهة اليمين تيمن، أو اليسار تشاءم؛ حيث كان من عادة العربي إذا خرج من بيته لحاجته، نظر هل يرىٰ طيرًا يطير، فيزجره أو يردعه؛ فإذا لم ير ذلك، عمَد إلىٰ الطير الواقع علىٰ الشجر، فيحركه ليطير، ثم ينظر أي جهة يأخذ. ينظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٨٥)، فيض القدير (٤/ ٣٩٥).

(٦) جمع التِوَلَة، بكسر التاء وضمها، شبيهٌ بالسحر. وهي ما تحبب به المرأة إلىٰ زوجها. ينظر:

وغير ذلك [ممَّا][1] قصَّ الله علينا من أخبارهم، وممَّا هو مسطورٌ في كتُب التَّاريخ، حتىٰ قال فاروق هذه الأمَّة: مَن لم يَعرِفْ أحوالَ الجاهليَّة، لم يعرِفِ الإسلامَ[2]. والحاصلُ أنَّهم كانوا علىٰ ما وصَفنا وزيادة، فكأنَّ الله ما أنزل عليهم كتابًا ولا أرسل لهم رُسُلًا، ومع كلِّ ذلك، فكانوا يَدينون بأنَّ الله في السَّماء، وهو الذي خلق السَّماواتِ والأرضين ومن فيهنَّ، وأنَّه ﷻ هو الذي يَرزقهم، ويحييهم ويميتهم، ولكنَّهم أشركوا معه آلهتَهم التي زعَموا أنَّها شفعاؤهم عند الله، وأنَّها تُقرِّبهم إلىٰ الله زُلفىٰ، فما جعلوهم آلهةً مستقلِّين؛ بل كانوا مُعتقدينَ أنَّ الله تعالىٰ وحدَه هو المُتفرِّد بكلِّ ما ذكر، ومع هذا، فقد سمَّاهم الله سبحانه مشركينَ وكافرينَ، مع أنَّهم كانوا لا يُشركون به إلا في حالة الرَّخاء، وأمَّا في حالة الشِّدَّة، فكانوا يخصُّونه وحدَه بالعبادة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وزاد عليهم كثيرٌ من أهل زماننا؛ فهم يُشركون به ﷻ في الرَّخاء والشِّدَّة.

[العهد النَّبوي]

بُعث رسولُ الله ﷺ والنَّاس علىٰ ما وصفْنا، فقام بدعوة الخَلقِ إلىٰ الحقِّ بهذا القرآنِ، وبما أُوتيه من الحكمة والموعظة الحسَنة، ولله ما عاناه من العناءِ والمشقَّة التي لاقاها من قومه! وما صدَّه ذلك عن القيام والصَّدع بما أمر به، بل صبَر واحتسب حتىٰ أعزَّ اللهُ به دينَه، وأظهَره علىٰ كلِّ دينٍ، فتَبدَّل الخوفُ أمنًا، والضَّلال هدًىٰ، والظُّلمة نورًا، وما زال النَّاس يَدخُلون في دينِ الله أفواجًا، حتىٰ مُلئت الأرض إيمانًا وعلمًا، كما مُلئت ظُلمًا وجَوْرًا وجهلًا، فمكَث علىٰ ذلك ثلاثًا

= الصحاح للجوهري (٤/ ١٦٤٥).

(١) في الأصل: فما.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ (٦/ ١٢٩) بنحوه.

وعشرين سنة حتَّىٰ أتمَّ الله عليه نعمتَه، وأكمل له دينه، وما قبَضه إليه حتىٰ تَرَكهم علىٰ المحجَّة البيضاء؛ ليلها كنهارِها، لا يَزيغُ عنها إلا هالكٌ، ولا شيءَ يُقرِّبهم من الجنَّة إلَّا علَّمَهم إيَّاه، ولا طائر يُقلِّب جناحَيه إلَّا وترك لهم منه علمًا، فجزاه الله عنَّا أفضل ما جزىٰ نبيًّا عن أمَّته، ثم بعد ذلك نقله إلىٰ الرَّفيق الأعلىٰ، وترك الأمرَ علىٰ ما وصفْنا، فقام به خلفاؤُه -وهُمُ الذين أُمِرْنا بالتَّمسُّك بسنَّتهم- أحسن قيام.

[الخلفاء الرَّاشدون]

ولكن لا يَخفىٰ علىٰ القارئ أنَّ هذا الأمر كان مُستتبًّا ومُستقيمًا في أيَّام أبي بكر وعمر، وأمَّا خلافةُ عثمانَ وعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين أخَذ في التَّغيُّر والانقلاب شيئًا فشيئًا، بسبب الفِتَنِ التي حصلت في زمَنِ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم توالت وتتابَعت في زَمَن عليٍّ كرم الله وجهه[1]؛ ففي زمان هذين الخليفتين ظهرت مبادئُ الرَّوافض والخوارج والمعتزلة بأسبابِ قومٍ دخلوا في الإسلام لا رغبةً فيه، بل دخلوا فيه لِيُفسدوه علىٰ أهله، وساعدهم القَدَرُ[2]، فتوصَّلوا إلىٰ [مقاصدهم][3] السَّيِّئة بأنواعٍ من الحِيَل والمَكائد؛ كعبد الله بن سبأ وأضرابه، فمِن ذلك الحينِ ظهر التَّشيُّع والتَّعصُّب، فتعصَّب وتشيَّع كلُّ فريقٍ إلىٰ أناسٍ مخصوصين أو إلىٰ بعض الأفراد، ولكن هذا كان قليلًا بالنِّسبة إلىٰ الزَّمان الذي بعده.

[ترجمة كتب اليونان والفلاسفة وفتنة خلق القرآن]

حتىٰ جاء المأمونُ، وهو الخليفة السَّابع من بني العبَّاس، فأحدث القول بخلق

(١) انظر لهذا اللفظ: معجم المناهي اللفظية للشيخ: بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٣٤١، ٤٤١).

(٢) لا يجوز إضافة شيء للقدر أو الأقدار؛ لأنها مخلوقة. وانظر: المجموع الثمين في فتاوىٰ الشيخ ابن عثيمين (١/ ١١٥).

(٣) في الأصل: مفاسدهم.

القرآن، وتَرجَم للناس كُتُبَ المنطق اليونانيِّ، وكُتُبَ الفلاسفة القدماء، مُستعينًا علىٰ ذلك بِبِشرٍ الْمَرِيسِيِّ، والجَهمِ بن صَفوان، والجعد بن درهمٍ، وحفصٍ الفَرد، فعظُمتْ في ذلك الفتنةُ، وزاد الخرقُ اتِّساعًا، فَلِلَّهِ ما لاقاه أهل السُّنَّة من المِحَن والبلايا! فكم لهم من قتيلٍ ومسجونٍ، ومضروبٍ بالسِّياط، ومُشرَّدٍ في البلدان، فزاد الخرقُ اتِّساعًا، فمِن ذلك الوقتِ أُلِّفت الكتبُ ودُوِّنت المؤلَّفات مِن كلِّ فريقٍ للانتِصار لمَا ذهَب إليه.

وما وقَف الحالُ عند هذا الحدِّ، بل بعده بقليلٍ حدَثت المذاهبُ الأربعةُ وغيرها، فبعد أن كان الرَّجل يأخُذ العلمَ عن كلِّ مَن لاقاه مِن النَّاس إذا عَلِمَ فيه الأهليَّة، من غير أن ينتسب لواحدٍ منهم، أصبح الحالُ بعد ذلك أنَّ كلَّ أحدٍ له مذهبٌ مخصوصٌ يَدينُ الله به، لا يخرج عنه قيدَ شبرٍ؛ يُخرِّج علىٰ أصولِه، ويُفرِّع علىٰ قواعده، ويتأوَّل له كلَّ ما خالفه من القرآن، ويُضعِّفُ له كلَّ ما ورد من السُّنَّة؛ إمَّا بضربٍ من التَّأويل، وإمَّا بضربٍ من التَّحريف، أو بذكرِ المجروح إن كان في دليلِ غيره، أو بتعديلِ المجروحِ إن كان في دليلِ مذهبه.هذا صنعُ أهلِ الفقه، وأمَّا أهلُ الكلام فقد ذهبوا فيه مذاهبَ شتىٰ، وسلَكوا طرائقَ قِددًا، ولا تسأل عمَّا أُحدِثَ في هذا الدِّين بسببهم! فقد حرَّفوا القرآنَ، وردُّوا النُّصوص الصَّحيحة، وألَّفوا في ذلك كُتُبًا مختلفةَ الألوان والأشكال والمذاهب والمشارب.

[الصُّوفيَّة]

وفي هذه الأثناء ظهَر قومٌ جعَلوا لبسَ الصُّوف شعارَهم، والتَّزهُّد في الدُّنيا وصفَهم، وحشيشَ الأرض طعامَهم، زاعمين أنَّ الله ﷻ لا يَرضىٰ عنهم إلَّا بهذا العمل، اختاروا العُزلةَ عن الاختلاط بالنَّاس، وانتحلوا لهم علمًا سمَّوه: علم التَّصوُّف، وهذا العلم -كما قال الدكتور زكي مبارك وغيره- هو خليطٌ من علمِ

الشَّريعةِ وعلم الباطنيَّة، والفلاسفة والإبراهيميَّة، ولهم فيه مذاهبُ مختلفةٌ، وأقوالٌ تأباها الشَّريعة المطهَّرة، ووجدوا لهم أتباعًا وافقوهم علىٰ ذلك، وزادوا عليهم.

ولكن لم يُخْلِ اللهُ الأرضَ مِن قائمٍ له بحُجَّةٍ، فكان في مقابل ذلك كلِّه رجالٌ لم يزالوا متمسِّكين بظواهر القرآن والنُّصوص النَّبويَّة، فألَّفوا كتبًا في تفسير القرآن، اقتصروا فيها علىٰ ما صحَّ من الأحاديث النَّبويَّة، وأقوال الصَّحابة والتابعين بالأسانيد القويَّة المتَّصلة، فمنهم المُكثِر ومنهم المُقِلُّ، وألَّفوا كُتُبًا في صحيح السُّنَّة وسقيمِها، وجعلوها حجَّةً بينهم وبين الله ﷻ، ولكن -يا للأسَف- إنَّ هؤلاء كانوا قليلين بالنِّسبة لأهل المذاهب الفاسدة الرَّديئة، فسرعان ما تغلَّبت هذه المذاهب علىٰ أهل السُّنَّة، فمزَّقوا كتبهم وحرَّقوها، وما سَلِم منه غيَّروه وشوَّهوه بالتَّأويلات الفاسدة والآراء الكاسدة التي لا يَشهَد لها عقلٌ، ولا نقلٌ، وما سَلِم من أيديهم الأثيمة إلَّا النَّزرُ اليسير من هذه الكتب السَّلفيَّة، ثم بعد ذلك زيد في الطُّنبورِ نغمةٌ، وفي الطِّين بِلَّةٌ؛ أمَّا كتب التَّفسير؛ فقد جاء كثيرٌ من المتأخِّرين، ورأوا أنَّ ذِكر الأسانيدِ بهذه الأقوال مُمِلٌّ للقارئ، ومخرجٌ إيَّاه عن حدِّ الإيجاز، ورأوا أن لا فائدةَ لذِكر هذه الأسانيد، فعمَدوا إلىٰ حذفِها، واكتفوا بذِكر القول مجرَّدًا عن الإسناد.

ولا تَسأل -أيُّها القارئ- عمَّا حدث في كتب التفسير بسبب ذلك! فأنت ترىٰ في كتب التفسير الموجودة في هذا الزمان أقوالًا كثيرةً معزوَّةً إلىٰ قائلها، فلا تستطيع أن تَجزم بأنَّه قالها.

ولم يكتفوا بذلك حتىٰ عمَدوا إلىٰ الإسرائيليَّات والقصص، فأدخَلوها في تفسير القرآن، ثم تفنَّنوا في تفسير القرآن علىٰ مذاهبَ كثيرةٍ، فكُلٌّ يفسِّر القرآن بما يقتضيه مذهبه ومشربه، وبما يُوحيه إليه ضميرُه، وإن خالف النُّصوصَ القطعيَّة؛

فترىٰ الحنفيَّ -مثلًا- إذا فسَّر القرآن يجعله كلَّه أدلَّةً لمذهبه، ويُقابله المالِكيُّ بالمِثْل، وكذا الشافعيُّ والحنبليُّ والزيديُّ والجعفريُّ والإباضيُّ، وهكذا صنيعُهم في كتب السُّنَّة المطهَّرة، وقابلهم آخرون بشكلٍ غير هذا الشَّكل؛ قالوا: إنَّ تفسير القرآن لا يكون إلَّا عن مُكاشفةٍ[١]، واعتقدوا في أنفسِهم أنَّهم من أهل الكشفِ والوجدان، وأنَّهم تُحدِّثهم قلوبُهم عن ربِّهم، وأنَّهم خاضوا بحرًا وقف الأنبياء بساحله، وأنَّ خاتمَهم[٢] أفضلُ من خاتم النُّبوَّة؛ لأنَّهم يأخذون عن الله بغير واسطةٍ، أمَّا النَّبيُّ؛ فإنَّه يأخذ عن الله بالواسطة.

فألَّفوا تفاسيرَ للقرآن، خالَفوا فيها ظواهرَ القرآن مُستدلِّين بحديث: «**إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَهْرًا وَبَطْنًا**»[٣]. وهو حديثٌ لم يَثبتْ من طريقٍ صحيحٍ، والأقربُ أنَّه من وضع الباطنيَّة؛ فمِمَّن ألَّف في التَّفسير علىٰ هذه الطَّريقة: أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ[٤]؛ ألَّف تفسيرًا سمَّاه: **حقائق التفسير**. قال الذَّهبي: «إن اعتقد أنَّ هذا مرادُ اللهِ؛ فهو كفرٌ صريحٌ»[٥]. ثم تلاه ابنُ عربي الحاتميُّ[٦] فألَّف تفسير:

---

(١) أهل الكشف والمكاشفة؛ هُم بعض المتصوِّفة. وكتبه محمد نصيف.

(٢) يقول ابن عربي الطائي، دفين دمشق الشام المتوفىٰ (٦٣٨هـ) أنه هو خاتم الأولياء. وكتبه محمد نصيف.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٢)، والسلسلة الضعيفة للألباني (٦/ ٥٦٠).

(٤) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسىٰ بن خالد بن سالم بن زاوية بن سعيد بن قبيصة بن سرَّاق الأزدي، السلمي الأم، الإمام، الحافظ، المحدث، شيخ خراسان، وكبير الصوفية، أبو عبد الرحمن النيسابوري، الصوفي، صاحب التصانيف، ولد في عاشر جمادىٰ الآخرة سنة ٣٢٥هـ، مات السلمي في شهر شعبان سنة ٤١٢هـ. سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٧).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٥٥).

(٦) هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، محيي الدين، أبو بكر الطائي الحاتمي

عرائس البيان، ومِثلُه فعل الشَّيخ إسماعيلُ حقِّي[١] في تفسيره المسمىٰ: روح البيان، والتفاسير التي علىٰ هذا النمط كثيرةٌ جدًّا، حسبُنا أنَّا أَشرْنا إلىٰ بعضها.

وهؤلاء المتصوِّفة لم يكتفوا بالقَدر الذي ذكرناه عنهم، بل تجاوزوه إلىٰ ما هو أعظمُ؛ فيقول بعضهم أنَّه يجتمع مع الرسول ﷺ في اليقظةِ، ويأخذ عنه الحديث، فترىٰ المحدِّث بينما هو يقول: هذا حديثٌ كذبٌ علىٰ رسول الله، والمتصوِّف يقول: قد صحَّ هذا الحديثُ من طريق الكَشفِ! انظر هذا في: **اللؤلؤ المرصوع في الحديث الموضوع** الذي ألّفه السَّيد محمد القاوقجي الطرابلسي الشاذلي[٢].

وتغالوا في التَّصوُّف حتىٰ قال بعضهم: «ما في الجُبَّة إلَّا الله»[٣]. وقال بعضهم: «الرَّبُّ عبدٌ، والعبدُ ربٌّ»[٤]، وسمَّوا ذلك: وَحدة الوُجود، وقالوا: «مَن فرَّق بين العبدِ والرَّبِّ، فهو مشركٌ»، وأضعاف أضعاف ما ذكرْنا. تجدُ ذلك في: **الفتوحات المكية وفصوص الحكم** لابن عربي الحاتمي، وكتاب **الإنسان الكامل** للجيلي.

وكان[٥] هؤلاء القوم من أضرِّ الناس علىٰ الإسلام والمسلمين؛ لأنَّهم تظاهروا

= الأندلسي المرسي، المعروف بابن العربي، قدوة أهل الوحدة، ولد في رمضان سنة ٥٦٠هـ، وتوفي في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٣٨هـ. سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٣).

(١) هو إسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولىٰ أبو الفداء، متصوف مفسر، تركي مستعرب، توفي سنة ١١٢٧هـ.

(٢) وطبع باسم: اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع. انظر: (ص ١٣٢).
وهو محمد بن خليل بن إبراهيم، أبو المحاسن القاوقجي، عالم بالحديث، فقيه حنفي باحث، ولد سنة ١٢٢٤هـ، وتوفي سنة ١٣٠٥هـ. الأعلام للزركلي (٦/ ١١٨).

(٣) كتب الشيخ محمد حسين نصيف علىٰ حاشية المخطوط: «الذي قال عن نفسه أنَّ ما في الجبَّة التي هو لابسها إلَّا الله، هو ابن سبعين الصوفي المقتول لكفره في عام ٦٦٩هـ. وكتبه محمد نصيف».

(٤) كتب الشيخ محمد حسين نصيف علىٰ حاشية المخطوط: «قال ذلك ابن عربي. وكتبه محمد نصيف».
والشيخ محمد حسين نصيف رحمه الله هو الذي آلت إلىٰ مكتبته الخاصة مؤلفات الشيخ محمد بن حسين بن سليمان الفقيه.

(٥) في الأصل: كانوا.

بالصَّلاح وكثرة العبادة، والزُّهد في الدُّنيا، فصادف قلوبًا فارغةً من العلم النَّبويِّ فصدَّقوها واعتقدوا صحَّة كلِّ ما يقولون، وألَّفوا الكتبَ الكثيرة في مناقبِهم وكراماتهم، وفضلِ زيارتِهم، حتىٰ بالغ بعضُهم فألَّف كتابًا سمَّاه: **وجوب الحجِّ إلىٰ مشاهد الأولياء**، واعتقدوا فيهم أنَّهم يملِكون الضرَّ والنَّفع، والصحة والسَّقَم، والغنىٰ والفقر، والإحياء والإماتة، وأنَّهم يجيبون المضطرَّ إذا دعاهم واستغاث بهم، أو تشفَّع، أو استنجد بأحدٍ منهم، لا فرق بين حيِّهم وميِّتهم، وأنهم يعلمون الغيب، لا يَخفىٰ عليهم شيءٌ منه، وقالوا: إذا مات الوليُّ، فإذا زار أحدُهم قبرَه، وطلب منه حاجةً، فإنَّه يخرج من قبرِه فيَقضيها له، وأنَّ الله وكَّل بقبره ملائكةً يَقضون حوائج المستغيث بصاحب القبر. انظر: **حاشية الباجوري** نقلًا عن الشَّعراني عند قول المصنِّف: «وأثبتن للأولياء الكرامة»[1].

وكم وكم لهؤلاء مِن فِتنٍ ومصائبَ علىٰ المسلمين! وقد تفرَّقوا علىٰ طرقٍ شتَّىٰ بعددِ الأولياء في نظرِهم، وإليك بعضها: فطريقة الرِّفاعيَّة، والبدويَّة التي تُسمَّىٰ الأحمديَّة؛ أتباع أحمد البدويِّ، والدُّسوقيَّة أتباع إبراهيم الدسوقي، والقادريَّة أتباع الشيخ عبد القادر الجيلانِّي، والبيوميَّة، والشَّاذليَّة، والسَّمَّانيَّة، والنَّقشَبَنديَّة، والرشيديَّة، والصَّاويَّة، والخلوتيَّة، والكنانيَّة، والتِّيجانيَّة، وغير ذلك ممَّن لو ذهَبْنا نستقصي أسماءهم لاحتَجنا إلىٰ مُجلَّدٍ.

وكلُّ طائفةٍ من هذه الطوائف تزعُم أنَّ شيخَها هو أفضلُ من غيره، وأنَّه يتحمَّل عن مُريديه كلَّ تبِعةٍ أو تقصيرٍ في عبادةٍ، وأنَّه لا يدخل الجنَّةَ حتَّىٰ يَدخُلَ أتباعُه، ولا تَسأل عمَّا وقع من جرَّاءِ ذلك! فكدتَ لا ترىٰ رجُلًا إلَّا وله مذهبٌ وطريقةٌ، وإن كان منسوبًا لأهل العلمِ، وما وقفوا عندَ هذا الحدِّ مِن التَّبرُّك،

---

(١) انظر: تحفة المريد علىٰ جوهرة التوحيد للباجوري (ص ٢٥٢).

وطلب النَّفع، ودفع الضُّرِّ من قبورِ مشايخهم، بل تجاوزوا إلىٰ غيره، فاعتقدوا في الأحجار والأشجار، ودانوا بتعليق التمائم والرُّقىٰ بأسماء الجن والملائكة.

وألَّفوا في ذلك كتبًا عديدة؛ كـ: **شمس المعارف، وشموس الأنوار**، ورَووا في ذلك أحاديثَ؛ أُقسمُ بالله العظيم أنَّ رسولَ الله ﷺ ما قال حرفًا منها! كحديثِ: «**لَوِ اعْتَقَدَ أَحَدُكُمْ فِي حَجَرٍ لَنَفَعَهُ**»[١]، وحديث: «**إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأُمُورُ فَعَلَيْكُمْ بِأَهْلِ الْقُبُورِ**»[٢]، وحديث: «**تَوَسَّلُوا بِجَاهِي؛ فَإِنَّ جَاهِي عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ**»[٣]، وحديث: «**مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ حَاجَةٌ، فَلْيَتَوَسَّلْ بِخَدِيجَةَ**»[٤]، وغير ذلك من التُّرَّهاتِ. وراجَت هذه الأحاديثُ المختلَقة الموضوعة علىٰ العَوامِّ، حتىٰ علىٰ كثيرٍ ممَّن اشتهر عند الناس بالعلم، بل بالغ بعض المنتسبين للعلم فقال: إنَّ زيارة قبر بعض السَّادة من أهل حضرموت أفضل من عدد حجَّات -نسيتُ ذكر العدد حال الكتابة. تجدُ كلَّ ذلك في كتاب **مصباح الظلام** الذي ردَّ به السَّيِّد الحدَّاد علىٰ الوهَّابيَّة، فسبحان من أعمىٰ بصائر أهل الزَّيغ والإلحاد، ونوَّر قلوبَ أهل الحقِّ والاستبصار!

[المتكلِّمون]

وأمَّا المتكلِّمون أتباع الفلاسفة، وفُروخ الصَّابئة والجهميَّة، فلا تَسألْ عن

---

(١) انظر: النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة علىٰ خير البرية للأمير الكبير المالكي (ص ١٣٢).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا الحديث كذب مفترىٰ علىٰ النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة. ينظر: مجموع الفتاوىٰ (١/ ٣٥٦).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث. ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٢٧٥)، وانظر: السلسلة الضعيفة للألباني (رقم ٢٢).

(٤) لم أجده.

مكائدهم التي كادوا بها الدِّين، وجِناياتهم التي جَنوا بها علىٰ النُّصوص الواردة في إثبات الصِّفات والأسماء لله ﷻ؛ فإنَّهم قد تكاتفوا وتعاونوا علىٰ هدم هذه القواعد التي بُني عليها الإسلام، ومن أجلها أُرسلت الرُّسل، وأُنزلت الكتب، فما مِن رسول أُرسل، ولا كتاب أُنزل، إلَّا وهو يُثبت لله الأسماءَ الحسنىٰ والصفات العليا، فهؤلاء أعداء القرآن والسنن، قد ألَّفوا كتبًا كثيرةً، ذهبوا فيها مذاهبَ شتَّىٰ، وسلكوا فيها طرائق قِددًا، حكَّموا العقول، ولم يبالوا بالمنقول.

وجعلوا نصوص الكتاب والسُّنَّة أدلَّةً لفظيَّةً لا تفيد العلم، وإنَّما لا يُستفاد العلم إلَّا من الحجج العقليَّة، وأسَّسوا بينهم قاعدةً؛ وهي: إذا تعارض العقلُ والنَّقلُ قُدِّم العقلُ؛ وأمَّا النَّقل، فإمَّا أن يُؤوَّل أو يُرَدَّ مطلقًا، وهذا الأصل الملعون هو الذي حمل شيخَ الإسلام ابنَ تيميَّة علىٰ تأليف كتابه المسمَّىٰ: **درء تعارض العقل والنقل**، وبعد تأصيلهم هذا الخسيسِ، انقسموا إلىٰ فِرَقٍ شتىٰ؛ فمنهم: الأشعريَّة، والماتريديَّة، والمعتزلة، والجبريَّة، والمُرجئة، والجَارودِيَّة، وغير ذلك من الطوائف التي لا تُحصَر، وكلُّها تدور علىٰ شيءٍ واحدٍ؛ وهو: جحدُ ما وصف الله به نفسَه ووصفه به رسولُه، وجحدُ ما أخبر به ﷻ من إثبات عذاب القبر، ووزن الأعمال، والصراط، وغير ذلك ممَّا يجب اعتقادُه عند أهل السُّنَّة.

وكلُّ طائفةٍ من هذه الطَّوائف تزعم أنَّ الحقَّ فيما ذهبت إليه، وأنَّ العقل يؤيِّدها، وتُضلِّل وتُكفِّر من خالَفها، ولم يَكتفوا بتأليف الكتب في هذا المعنىٰ علىٰ حِدةٍ، بل أدخلوا كلَّ ذلك في تفسير القرآن العظيم، وفي تفسير أحاديث النبي الكريم، فشوَّهوا بهذه الآراءِ المَمقوتة وجهَ القرآن والسُّنَّة، وراجت هذه المعتقدات في قلوب العامَّة والخاصَّة، حتىٰ قال أقبحُهم: طريقة السلف في

الصفات أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم. وكِدتَ لا ترىٰ رجلًا من أهل العلم ومؤلِّفًا سَلِم من هذه النَّزغَات[1] إلَّا من عصمه اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

[فخر الدين الرازي]

وكان في مقدِّمة هؤلاء المتكلِّمين فخر الدين الرازي، فملأ الدُّنيا بمؤلَّفاته في علم الكلام والفلسفة وأقوالِ الحكماء، فألَّف: **المحصل**[2]، و**تأسيس التَّقديس**، وغيرها من الكتب، ولم يكتفِ بذلك حتىٰ أودعها **تفسيرَه الكبير** المُسمَّىٰ: **مفاتيح الغيب**، ويُلقِّبونه بالإمام كما ترىٰ ذلك -إن شاء الله تعالىٰ- حينما نذكر كلامَ أهل العلم فيه.

[أبرز المتصوِّفة]

وأمَّا مقدَّم الصوفيَّة وناشِرُ عِلمِهم، فهو: أبو حامد محمد بن محمد الغزَّاليُّ، فأودع كتابه: **الإحياء** شيئًا كثيرًا من مذاهب الصوفيَّة والفلاسفة والمتكلِّمين.

ثم بعده بقليلٍ جاءت الطَّامَّة الكبرىٰ، وهو: مُحيي الدِّين محمد بن علي الشهير بابن عربيٍّ الحاتمي، فألَّف **الفتوحات المكِّيَّة**، و**الفصوص** وغيرها.

وتلاه علىٰ هذا المنوال خلقٌ كثيرٌ؛ كالصدر القونويِّ، وعبد الكريم الجيليِّ، والشَّاذليِّ، والمرسيِّ، وابن عطاء الله السَّكَندريِّ، والتِّيجانيِّ، وخلقٌ لا يُحصون كثرةً وعددًا، واغترَّ بهم كثيرٌ من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم،

---

(١) نَزغُ الشيطان: أي إغراؤه ووسوسته، والنزغة: النخسة، والطعنة، وقيل: النزغ: شبه الوخز. ينظر: تاج العروس، ولسان العرب (نزغ).

(٢) وهو: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، من الحكماء والمتكلمين، غير المحصول في أصول الفقه.

فأدخلوا كلامهم حتىٰ في كتب الفقه، فمِن أجل ذلك اختلط الحابِل بالنَّابل، والغَثُّ بالسَّمين، والظُّلمات بالنَّور، والحقُّ بالضلال، حتىٰ وإنَّ معرفة الحقِّ الصَّريح يتعسَّر علىٰ من طلبها إلَّا من رحِم ربُّك.

وهذه الكتب الكثيرة -لأهل الطوائف التي ذكرْنا بعضَها وغيرهم ممَّن لم نَذكرْ- قد كثُرَت وعظُمَت حتىٰ طار شررُها، وعمَّ ضررُها، وإنَّها لا تَنضبط في فنٍّ من الفنون.

[أثر الدولة السعودية في نشر العقيدة وردع البدع]

فلمَّا رأت حكومتنا السُّعودية -خلَّد الله مُلكَها وشيَّد بُنيانَها- ما وقَع المسلمون فيه من العقائد الزَّائفة والمذاهب المختلفة المقاصد، وعلِمت أنَّه لا ثمَّة علاج لهذا الدَّاء العُضال الذي فتَّت أعضاء المسلمين وفرَّق كلمتَهم، حتىٰ أصبحوا في زمانٍ مِثلَ الزمان الذي بُعث فيه نبيُّنا محمدٌ ﷺ، وتقرَّر عندها أنَّ أقرب طريقةٍ لنصر الحقِّ ودَحض الباطل، إنَّما هو شيءٌ واحدٌ، وهو الدَّواء الذي عالج به رسولُ الله ﷺ أهلَ [ذلك][1] الزمان الذي بُعث فيه، وهو الكتاب والسُّنَّة، فَحَثَّتْ علىٰ تعليمِهما وإقرائهما وتدبُّرهما، والرجوعِ إليهما في الأصول والفروع وسائر العبادات، وقَضَت علىٰ الكتب المخالِفة لهذين الأصلَين بالمنع لها؛ ألَّا تدخل بلادها، وتُقرأ في مساجدها ودروسها، فجزاها الله عن نبيِّها ﷺ، وعن الإسلام والمسلمين أحسنَ الجزاء، وأقرَّت الكتب السَّلفيَّة المؤلَّفة في العقائد والتَّفسير، وغير ذلك من سائر الفنون، وأعني بها الكتبَ التي لم تُدَنَّس بآراء الفلاسفة والمتكلِّمين، وخيالات الصوفيَّة والباطنيَّة وعُبَّاد القبور.

---

(١) في الأصل: تلك.

وكأنِّي بك -أيُّها القارئ الكريم- إذا سمِعتَ أنَّ الحكومة السُّعوديَّة منَعَتْ دخول **تفسيرِ الفخر الرازي، والكشَّاف للزَّمَخشَري**، وكُتُبِ الغزَّاليِّ التي ألَّفها في التَّصوُّف والكلام، وكُتُبِ ابن عربيٍّ الحاتميِّ، والشَّعرانيِّ، وسائر الكتب التي تخالِف القرآن والسُّنَّة؛ فإنَّك لَتدهَشُ وتَقِف مُتحيِّرًا عندما تسمَع كلَّ ذلك، ولكنِّي لا إخالُك إلَّا أنَّك تخضع وتُسلِّم لها ما فعَلَتْه إذا سمِعت كلامَ أهل العلم المحمَّديِّ مِثل: الذهَبيِّ، والحافظ ابن حجَرٍ العَسْقلانيِّ، والجلال السُّيوطيِّ، وأضرابِهم في حقِّ هؤلاء، وإن تَمَاديتَ بعد ذلك علىٰ ما أنت عليه، فما علىٰ الحكومة السُّعوديَّة إذا هي أسخطت لرضا الله عَزَّوَجَلَّ عنها.

وإليك ما قاله الإمام الذهبيُّ[(١)] في كتابه: ميزان الاعتدال في نقد الرجال[(٢)]، وما قاله الحافظ ابن حجَرٍ العَسْقلانيُّ[(٣)] **في لسان الميزان[(٤)]** في الفخر الرازي وتفسيره، وما قاله السُّيوطيُّ وغيره في التفسير المذكور.

ولنُذَكِّرك أيُّها القارئُ السُّنِّيُّ جملةً مِن بعضِ ما ورد عن السَّلف في ذمِّ الكلام وأهله علىٰ العموم:

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الفارقي، شمس الدين أبو عبد الله الدمشقي المقرئ المعروف بالذهبي، صنف وأرخ وصحح وعلل وقرأ القراءات السبعة، وصنف تصانيف عظيمة، وهو صاحب تاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء، وغيرها من الكتب التي لا يستغني عنها باحث، مولده في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٣هـ، وتوفي في ليلة الإثنين ثالث ذي القعدة سنة ٧٤٨هـ بدمشق. معجم الشيوخ للسبكي (ص ٣٥٢).

(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٣/ ٣٤٠).

(٣) هو الإمام الحافظ أحمد بن علي بن محمد، أبو الفضل العسقلاني الشافعي، صاحب فتح الباري، وغيره من الكتب النافعة، توفي ٨٥٢ هـ. انظر: لحظ الألحاظ (ص ٢١١)، ذيل التقييد (١/ ٣٥٢)، الضوء اللامع (٢/ ٣٦).

(٤) لسان الميزان (٦/ ٣١٨).

قال الإمام أبو يوسف صاحب أبي حنيفة: «مَن طلَب المال بالكيمياءِ فقد أفلَسَ، ومن طلَب الدينَ بعلم الكلامِ فقد تَزَندَق»[١]. وقال بعضهم: ما تردَّىٰ رجلٌ بعلم الكلام فأفلَحَ[٢]. وقال الإمام الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأن يلقىٰ اللهَ العبدُ بكلِّ شيءٍ من المعاصي ما عدا الشِّرك بالله، خيرٌ له مِن أن يَلقاه ومعه شيءٌ من علم الكلام»[٣]. وقال مرة أخرىٰ: «حُكمي في علماء الكلام أن يُضرَبوا بالجَريدِ، ويُصفَعوا بالنِّعال، ويُطاف بهم في الأسواق، ويُقال لهم: هذا جزاءُ مَن ترَك الكتاب والسُّنَّة، وقال علىٰ الله ما لم يعلم»[٤]. انظر كتاب: **الأسماء والصفات**[٥] للحافظ البَيهقيِّ، وكتاب: **العلو للعلي الغفار**[٦] للإمام الذهبي، وكتاب: **العلو**[٧] للموفَّق بن قُدامة، وكتاب: **اجتماع الجيوش الإسلامية لغزو المُعطِّلة والجهميَّة**[٨] للإمام ابن القيِّم، وكتاب: **جامع العلم**[٩] للحافظ ابن عبد البر.

ولقد صدق السَّلف فيما قالوه في حقِّ علماء الكلام؛ فإنَّهم جميعًا مُجمِعون علىٰ أنَّ الله لم يتكلَّم بهذا القرآن الذي هو بين الدَّفَّتينِ، وأنَّه تعالىٰ لا يتكلَّم بحروفٍ وأصواتٍ قديماتٍ أزليَّاتٍ، بل بعضُهم يقولُ: إنَّ الله خلَق كلامه في

---

(١) رواه عنه ابن عدي بإسناده في الكامل (١/ ١١١).

(٢) وهو مروي عن الشافعي كما ساقه بإسناده ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه (ص ١٤٣).

(٣) المرجع السابق في الموضع نفسه بإسناده.

(٤) رواه الذهبي بإسناده في تاريخ الإسلام (٥/ ١٤٦).

(٥) الأسماء والصفات (٢/ ٢٢).

(٦) العلو للعلي الغفار (ص ١٥١، ١٦٥).

(٧) العلو (ص ١٦٦).

(٨) لم أجد فيه شيئًا من الأقوال المذكورة.

(٩) جامع بيان العلم (٢/ ٩٣٩، ٩٤١، ١٠٣٣).

[بعض][1] الأجرامِ، وبعضُهم يُثبِتُ له الكلامَ النَّفسيَّ، وأمَّا هذا القرآن المكتوبُ في مصاحفنا، المحفوظ في صدورنا؛ إنَّما يُطلَق عليه كلامُ الله علىٰ المجازِ لا علىٰ الحقيقة! كقول القائل: بيتُ الله، وناقةُ الله، أو هو عبارةٌ أو مدلولٌ أو دالٌّ علىٰ الكلام النَّفسيِّ، وأنَّ القرآن والتَّوراة والإنجيل معناهما واحدٌ، فإن عُبِّر عنها باللسان العربيِّ كان قرآنًا، أو باللسان العبريِّ كان توراةً، أو باللسان السُّرياني كان إنجيلًا! وخالفوا جميعًا قولَه تعالىٰ لنبيِّه ﷺ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥]، وأشباه ذلك من الآيات، فأثبَتَ ﷻ أنَّ المخلوق يَسمَع كلامَ الله، وأنَّهم حرَّفوه من بعدِ ما عقَلُوه.

هذا اعتقادُهم في القرآن ودرجتُه عندهم، وأمَّا صفات الله الثَّابتة في الكتاب والسُّنَّة، فيستحيل عندهم أن يُوصفَ بها -جلَّ ذِكرُه- بل يجب أن يُنزَّه عنها! وقالوا: ليس في الأرض إله، وليس علىٰ العرش إلهٌ! وقالوا: لا يَنزِل ولا يَصعَد، ولا يَنزِل من عنده شيءٌ، ولا يَصعَد إليه شيءٌ! ولا يأتي في ظُلَلٍ من الغمامِ والملائكة! ولا يأتي يوم القيامة لفصلِ القضاء؛ بل الذي يأتي أمرُه أو ملكُه! وقالوا: لا يغضَب ولا يَرضىٰ، ولا يعجَب ولا يضحَك، ولا يحِبُّ ولا يُحَبُّ، ولا يمشي ولا يُهروِل، ولا يتردَّد، ولا يَغار، ولا يبغَض ولا يكرَه! وغير ذلك من الصِّفات التي ورَد بها القرآنُ، وصحَّت بها السُّنَّة المُطَهَّرة.

---

(١) في الأصل: يوم.

وقالوا: ما ورد منها في القرآن فهو مؤوَّلٌ، وما ورد منها في السُّنَّة فهي أخبار آحاد لا تفيد العِلم مهما احتَفَتْ بها القرائنُ، وبالَغوا في نفيِ ذلك حتىٰ وصفوه سبحانه بصفات العدم المحضِ، وقالوا: الله موجودٌ، ولكن لا فوق ولا تحت، ولا أمام ولا خلف، ولا علىٰ العرش ولا عن يمينه ولا عن شماله، ولا في السماء، ولا يُشار إليه، ولا يُقال له: أين؟ إلىٰ غير ذلك، فأُناشِدُك اللهَ، هل يُوصف العدمُ بشيءٍ أعظمَ من هذا؟!

ورَحِم الله الإمامَ حمَّاد بن زيدٍ الذي قال لبعض المُبتدِعة نُفاةِ الصفات: إذا قُلت: في بيتِنا نخلةٌ، ولكنَّها لا جَريد لها، ولا خوصَ، ولا ليف، ولا ساق، ولا ممَّا هو صفاتٌ للنَّخلة؛ فهل نتيجةُ ذلك إلَّا أنَّه ليس في بيتك نخلةٌ، وكذلك هؤلاء؛ توحيدُهم إمَّا[1] هو عدمٌ لا صرف، ولا يَنفَعهم قولُهم: اللهُ موجودٌ.

وهذه كتبُهم بين ظَهرانينا وبأيدينا، تُقرأُ في مدارسنا ودروسنا من غير نكيرٍ، بل يعتقدون أنَّها كتبُ أهلِ السُّنَّة والجماعة، ويحكُمون علىٰ من خالف شيئًا منها أو شكَّ فيه، أنه ضالٌّ أو كافرٌ، فإلىٰ الله المُشتكَىٰ من زمانٍ صار فيه المعروفُ مُنكَرًا، والمُنكَرُ معروفًا! هُجرَت فيه آياتُ القرآن وصحيحُ السُّنَّة [واستُبدل بها الكتب][2] الكلاميَّة الفلسفيَّة المُنتِنة، والآراء المَمْقوتة التي أجمع السَّلفُ علىٰ تكفير وتضليل من يُقدِّمها علىٰ القرآن والسُّنَّة! ويكفيها قِسما أنَّ إمامَهم ومقدَّمهم الجَهْم بن صَفوانَ؛ كان يقرأ يومًا في المصحَف الشَّريف، فلمَّا انتهىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، قال: «لو أمكَنني

(١) كذا ولعله: إنما.

(٢) في الأصل: واستبدل بالكتب.

حكُّها علىٰ المصحَف لحَكَكتُها». انظر كتاب: **خلقُ أفعال العِباد**[١] لإمام أهل الدُّنيا في الحديثِ: محمد بن إسماعيل البُخاريِّ. وكان الجَهْمُ من أجهلِ الناس بالفقهِ، حتىٰ إنَّه سُئل عن الرَّجل يتزوَّج المرأةَ ثم يُطلِّقها من قبل أن يمَسَّها، فأفتىٰ بوجوب العِدَّة عليها مع قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩] انظر: الكتاب المذكور[٢].

فبالله عليك! أَمِثل هذا الجاهل بأوضح المسائل القضائيَّة- يَصلُح أن يكون إمامًا في العقائد الإلهيَّة؟! فإذا كان هذا حاله، فما الظَّنُّ بأتباعِه؟!

والحاصلُ أنَّ ذمَّ السَّلف لعلماء الكلام، وتقبيحَهم إيَّاهم- شيءٌ كثيرٌ، لا يتَّسع لذِكره هذا المقامُ، وما ذكَرناه عنهم قطرةٌ من بحرٍ، وبالله التوفيق.

قفْ علىٰ ما ذكَره الإمام الذهبيُّ، والحافظ ابن حجرٍ العَسقلانيُّ في ترجمة الفخر الرازي: قال الإمامُ الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي في كتابه: **لسان الميزان**[٣] ما نصُّه: «الفخرُ بن الخطيب، صاحب التَّصانيف، رأسٌ في الذَّكاء والعقليَّات، لكنَّه عَرِي من الآثار، وله تشكيكاتٌ علىٰ مسائلَ من دعائم الدِّين تُورِث حَيرة، نسألُ الله أن يُثبِّتَ الإيمان في قلوبنا، وله كتاب: **السر المكتوم في مخاطبة النجوم**، سحرٌ صريحٌ! فلعلَّه تاب من تأليفه إن شاء الله تعالىٰ». انتهىٰ.

---

(١) خلقُ أفعال العِباد (ص ٣٨).

(٢) خلقُ أفعال العِباد (ص ٣٠).

(٣) لسان الميزان (٦/ ٣١٨).

وقد عاب التَّاج السُّبْكيُّ[١] علىٰ المصنِّف[٢] ذِكرَه هذا الرجُلَ في هذا الكتاب، وقال: إنَّه ليس من الرُّواة، وقد تبرَّأ المصنِّف من الهوىٰ والعصبيَّة في هذا الكتاب، فكيف ذكَر هذا وأمثالَه ممَّن لا رواية لهم كالسَّيفِ الآمِديِّ[٣]، ثمَّ اعتذر منه بأنَّه يرىٰ أنَّ القَدْح في هؤلاء من الدِّيانة، وهذا بعينِه التَّعصُّب في المُعتقد[٤].

والفَخر كان من أئمَّة الأصول، وكتبُه في الأصلَين شهيرةٌ بفضله، وله ما يُقبَل وما يُردُّ، وقد ترجم له جماعةٌ من الكبار بما مُلخَّصه: أنَّ مولده سنة ثلاثٍ وأربعين وخمسمائة في رمضان، واشتغل علىٰ والده وكان من تلامذة البَغويِّ[٥]، ثم اشتغل

---

(١) هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسىٰ بن تمام، العلامة قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي الحسن الأنصاري الخزرجي السبكي، مولده بالقاهرة سنة ٧٢٧هـ، وقيل: سنة ثمان، توفي شهيدًا بالطاعون في ذي الحجة سنة ٧٧١هـ. انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/ ١٤٠)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٢/ ٤٢٥)، المنهل الصافي (٧/ ٣٨٥).

(٢) يقصد الذهبي مصنف كتاب: ميزان الاعتدال.

(٣) هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي، العلامة المتكلم سيف الدين الآمدي الحنبلي ثم الشافعي، ولد بعد الخمسين وخمسمائة بيسير بآمد، ومات في رابع صفر، سنة إحدىٰ وثلاثين وستمائة، وله ثمانون سنة. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (١٤/ ٥٠)، سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٦٤)، الوافي بالوفيات (٢١/ ٢٢٥).

(٤) ينظر: قاعدة في الجرح والتعديل لتاج الدين السبكي (ص ٤٦).

(٥) وهو الفراء البغوي، العلامة محيي السُّنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد، المعروف بالفراء البغوي، الملقب ظهير الدين الفقيه الشافعي المحدث المفسر؛ كان بحرًا في العلوم، وأخذ عن القاضي حسين، وروىٰ الحديث، وصنف كتبًا كثيرة، منها التهذيب، وشرح السنة، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم، والجمع بين الصحيحين، وغير ذلك، توفي في شوال سنة عشر وخمسمائة. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (١١/ ٢٥٠)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٢٨)، وفيات الأعيان (٢/ ١٣٦)، وطبقات الشافعية للسبكي (٧/ ٧٥).

علىٰ الكمالِ السِّمنَانيِّ[١]، وتمهَّر في عدة علومٍ، وعقَد مجلسَ الوعظ، وكان إذا وعظ، يحصُل له وَجدٌ زائدٌ، ثم أقبل علىٰ التَّصنيف، فصنَّف **التفسير الكبير**؛ يُسمَّىٰ: **مفاتيح الغيب**، **والمحصول** في أصول الفقه، **والمعالم** في علم الكلام، **والمطالب العالية**، **والأربعين**، **والخمسين**، **والملخص**، **والمباحث المشرقية** في علم الإلهيات، **وطريقة** في الخلاف، **ومناقب الشافعي**.

وكان في أوَّل أمره فقيرًا، ثم اتُّفق أنَّه صاحَبَ تاجرًا متموِّلًا وله ولدانِ، فزوَّجهما ابنتَيه، ومات التَّاجرُ فتقلَّب الفخرُ في ذلك المال، وصار من رُؤساء ذلك الزمانِ، يقوم علىٰ رأسِه خمسون مملوكًا بمناطق الذهَب وحلل الوشيِ. قاله ابنُ الربيب في **تاريخه**، قال: «وقال للسُّلطان يومًا: نحن في ظلِّ سيفك، فقال له السُّلطان: ونحن في شمس علمِك»، قال: «وكانت له أورادٌ من صلاةٍ وصيامٍ، لا يخل بها، وكان من تبحُّره في الأصولِ يقول: «من التزم دينَ العجائز، فهو الفائز»، وكان يُعابُ بإيرادِ الشُّبَه الشديدة، ويُقصِّر في حلِّها، حتىٰ قال بعض المَغاربة: «يُورد الشُّبهة نقدًا، ويحُلُّها نسيئةً!»».

وقد ذكره ابنُ دِحية[٢] بمدحٍ وذمٍّ.

---

(١) هو كمال الدين أبو نصر، أحمد بن زيد السمناني، ومات بنيسابور سنة ٥٧٥هـ. انظر: طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٣٣٨).

(٢) هو أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن الجميل بن فرح بن دحية بن خليفة الكلبي المعروف بذي النسبين، الأندلسي البلنسي الحافظ، وتوفي يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول سنة ٦٣٣هـ بالقاهرة، ودفن بسفح المقطم، ومولده في مستهل ذي القعدة سنة ٥٤٤هـ. انظر: التكملة لكتاب الصلة (٣/ ١٦٤)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (١/ ٣٣٨).

وذكَره ابنُ شامةَ[١]، فحكىٰ عنه أشياءَ رديئةً، وكانت وفاتُه بهَراة يوم عيدِ الفطر سنة ستمائة وستة. ورأيتُ في: **الإكسير في علم التفسير** للنَّجم الطُّوفيِّ[٢] ما مُلخَّصه: ما رأيت في التَّفاسير أجمع لغالب علم التَّفسير مِن القُرطُبيِّ، ومِن **تفسير الإمام فخر الدين**؛ إلَّا أنَّه كثيرُ العيوب، فحدَّثني شرف الدين النَّصيبيُّ[٣] عن شيخه سراج الدين الشرمساحي المغربي[٤]، أنَّه صنف كتاب **المآخذ في** مجلَّدَين، بيَّن فيهما ما في **تفسير الفخر** من الزَّيف والبَهْرَجِ[٥]، وكان ينقِم عليه كثيرًا، ويقول: «يُوردُ شُبَه المخالفين في المذهب والدِّين علىٰ غاية ما يكون من التَّحقيق، ثم يُورد مذهب أهل السُّنَّة والحقِّ علىٰ غايةٍ من الوهاء!»، قال الطُّوفيُّ: «وَلَعمري! هذا دأبُه في كتبه الكلاميَّة والحكميَّة حتىٰ اتَّهمه بعض الناس، ولكنه خلاف ظاهرِ حاله؛ لأنَّه لو كان اختار قولًا ومذهبًا، ما كان عنده من يخاف منه

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن شامة بن كوكب بن العز -أو ابن أبي العز- بن حميد الطائي، السنتبسي السوادي الحكمي المحدث الحافظ، الزاهد العابد، شمس الدين أبو عبد الله، ولد في رجب سنة ٦٤٦هـ، وتوفي في آخر نهار الثلاثاء رابع عشري ذي القعدة سنة ٧٠٨هـ بمصر. انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٣٦٧)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر (١/ ٣٥٧).

(٢) هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد، الطوفي الصرصري ثم البغدادي، الفقيه الأصولي، المتفنن، نجم الدين أبو الربيع، ولد سنة بضع وسبعين وسبعمائة، وكان شيعيًّا منحرفًا في الاعتقاد عن السنة، وأدركه الأجل في بلد الخليل ﷺ في شهر رجب سنة ٧١٦هـ. انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٤٠٤)، الدرر الكامنة (٢/ ٢٩٥).

(٣) هو محمد بن نجام شرف الدين الشيباني النصيبي. انظر: الوافي بالوفيات (٥/ ٧٤).

(٤) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر، المفتي العلامة، سراج الدين الشرمساحي، المصري، الفقيه المالكي، مدرس المستنصرية، من كبار أئمة المذهب، وكان ذا زهد وصلاح وتصوف، مات في جمادىٰ الآخرة سنة ٦٦٩هـ، وله سبعون سنة. انظر: تاريخ الإسلام (١٥/ ١٦٧).

(٥) أي: الباطل، والرديء من الشيء. ينظر: مختار الصحاح (بهرج).

حتىٰ يتستر عنه، ولعلَّ سببَه أنَّه كان يَستفرغ قواه في تقرير دليل الخَصمِ، فإذا انتهىٰ إلىٰ تقرير دليل نفسه، لا يَبقىٰ عنده شيءٌ من القُوىٰ، ولا شكَّ أنَّ القُوىٰ النفسانيَّة تابعةٌ للقُوىٰ البدنيَّة، وقد صرَّح في مقدِّمة: **نهاية العقول** أنَّه يقرِّرُ مذهبَ خَصمِه تقريرًا لو أراد خَصمه أن يقرره لم يقدر علىٰ الزِّيادة علىٰ ذلك».

وذكر ابنُ خليل السَّكونيُّ في كتابه: **الرد علىٰ الكشَّاف** أنَّ ابن الخطيب قال في كتبه في الأصول: «إنَّ مذهب الجَبر هو المذهبُ الصحيح»، وقال بصحَّة الأعراض، وبنفي صِفات الله الحقيقيَّة، وزعَم أنَّها مُجرَّد نِسبٍ وإضافاتٍ، كقول الفلاسفة، وسلك طريق أرسطو في دليل التَّمانُع، ونقَل عن تلميذه التَّاج الأرموي[1] أنَّه نصر كلامَه فهجَره أهل مصر، وهمُّوا به، فاستتر، ونقلوا عنه أنَّه قال: «عندي كذا وكذا مائة شُبهةٍ علىٰ القول بحدوثِ العالمِ». ومنها ما قاله شيخُه ابن الخطيب في آخر **الأربعين**.

والمُتكلِّم يَستدلُّ علىٰ القِدَم بوجوب تأخُّر الفعل ولزوم أوَّليَّته، والفيلسوف يَستدلُّ علىٰ القِدَم باستحالة تعطُّلِ الفاعل عن أفعاله. وقال في **شرح الأسماء الحسنىٰ**: «إنَّ مَن أخَّر عقابَ الجاني مع عِلمه بأنَّه سيُعاقبه، فهو الحَقود، وقد تُعقِّب بأن الحَقود من أخَّر مع العجزِ، أمَّا مع القُدرة فهو الحليم، والحقود إنَّما يعقل في حقِّ المخلوقِ دون الخالقِ بالإجماع»، ثم أسندَ عن ابن الطَّبَّاخ[2]: أنَّ الفخر كان شيعيًّا يقدِّم محبَّة أهل البيت كمحبَّة الشِّيعة، حتىٰ قال في بعض تصانيفه: «وكان عليٌّ شجاعًا بخلافِ غيره».

---

(١) هو تاج الدين محمد بن الحسين الأرموي مؤلف الحاصل في مختصر المحصول، وتوفي في سنة ٦٥٣هـ. انظر: الوفيات لابن قنفذ (ص ٣٢٢).

(٢) هو المبارك بن علي بن الحسين بن عبد الله بن محمد، أبو محمد بن الطباخ البغدادي، الحنبلي، نزيل مكة، توفي في شوال سنة ٥٧٥هـ. انظر: تاريخ الإسلام (١٢/ ٥٦٥).

وعاب عليه تصنيفَه لتفسيرِه: **مفاتيح الغيب**، ولمختصره في المنطق: **الآيات البينات**، وتقريره لتلامِذته في وصفه بأنَّه الإمام المُجتبَىٰ، أستاذ الدُّنيا، أفضل العالم، فخرُ بني آدم، حجَّة الله علىٰ الخلقِ، صدرُ صدورِ العرب والعجم! هذا آخرُ كلامه[١].

وقد مات الفخر يوم الإثنين سنة ست وستمائة بمدينة هَرَاة، واسمُه: محمد بن عمر بن الحسين، وأوصىٰ بوصيَّةٍ تدلُّ علىٰ أنَّه حَسُن اعتقادُه.

وقال الجلال السُّيوطيُّ في كتابه: **الإتقان**، عندما ذكَر طبقات المفسِّرين: «وأمَّا **التَّفسير الكبير** للفخر الرازي، فقد شحَنه بعلوم الفلاسفة والحكماء، حتىٰ قال بعضُهم: فيه كلُّ علمٍ إلَّا علم التَّفسير»[٢].

وقال **بدرُ الدين النَّعساني**[٣] في كتابه: **التَّعليم والإرشاد** ما نصُّه: «وأمَّا تفسير فخر الدين الرازي، وهو كتاب العامَّة والخاصَّة، وعُمدة النَّاس في هذا الموضوع، فأبو حيَّان المفسِّر يقول في تفسيره: «تفسير الإمام فخر الدين فيه كلُّ شيءٍ إلَّا التفسير»، وما أحسَن ما ترجم به أبو حيَّان هذا التَّفسير الكبير بالبحر العميقِ، ولقد يفتحُ الإنسان جُزءًا من أجزاء هذا التَّفسير للمراجعة والكَشف فيه عن تفسير آيةٍ من آيِ كتاب الله، فلا يَشعُر إلَّا وقد توسَّط بحرًا لُجِّيًّا لا يخلصُ الإنسان منه إلىٰ ساحلٍ».

---

(١) لسان الميزان (٤/ ٤٢٦).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٢٤٣) بتصرف في العبارة.

(٣) هو محمد بن مصطفىٰ بن رسلان النعساني الحلبي، أبو فراس، بدر الدين، كاتب أديب، له شعر، ولد في حلب، وأقام في الأزهر ثماني سنين (١٣١٠- ١٣١٨هـ)، ولد في سنة ١٢٩٨هـ، وتوفي في سنة ١٣٦٢هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ١٠٢).

ويظهر ممَّا كتبه الإمام فخر الدين في مقدِّمة كتابه، أنَّه قد أودع كتابه كثيرًا ممَّا لا تَعَلُّقَ له بعلم تفسير كتاب الله، ولا ارتباط له فيه بوجهٍ من الوجوه، وإنَّما كان غرضُه ممَّا جمعه في تفسيره من هذه المسائل الغريبة -مع أنَّ الكتاب في تفسير كتاب الله خاصَّةً علىٰ ما يظهر من كلامِه في أوَّل كتابه- يُبَرهن علىٰ حقيقة ما قاله لبعضِ مُناظِريه من أنَّ كتاب الله -جلَّ ثناؤه وعلا سُلطانه- لا يُمكن استقصاءُ ما فيه من الأسرارِ، ولا الإحاطة بما فيه من المعاني والحِكم، ولو كُتِب ذلك في مئاتٍ من المجلَّدات، وأنَّ فاتحة الكتاب يُمكن أن يُكتب فيها مجلدٌ ضخمٌ في أحكامها وأسرارها ومعانيها، ولذلك وضَع في تفسير الفاتحة مجلَّدٌ لردِّ ما أنكره المنكرون عليه، وإن كان لم يضَع شيئًا بالرَّدِّ عليهم لحشوِ كتابه بهذه المسائل التي ذكَرها، ولا ارتباط لها بتفسير كتاب الله بوجهٍ من الوجوه، وكلُّ كلامٍ مؤلَّفٍ -كلام الله أو غيره- يُمكن للعالِم أن يتوسَّعَ في الكتابة عليه إلىٰ مِثل ما توسَّع به الإمام فخرُ الدين في تفسير كتاب الله، والمؤلِّف إذا أغمض عينيه، وتسامح في تأليفه، وراعىٰ المناسبَ والمجاوِر ومجاوِره، استَطال في يده حبلُ الكلام، فلم يقف به عند حدٍّ، ولقد رأينا لمتأخِّرٍ من متأخِّري المصريِّين يُدعىٰ السُّحَيميَّ[1] **حاشيةً علىٰ شرحِ عبد السَّلام علىٰ جوهرةِ التوحيد**، تقع في أربع مجلَّداتٍ ضِخامٍ، علىٰ أنَّ الأمير وهو أطولُ باعًا منه في علم الكلام، وأدقُّ نظرًا، استوعب الكلام علىٰ شرح عبد السلام في مجلَّدٍ صغيرٍ، وكان في قدرة السُّحيميِّ أن يُضيفَ إلىٰ مجلَّداته الأربع أربعًا أخرىٰ، ولكن رأىٰ أنَّ الاقتصار علىٰ هذا المقدار كافٍ في البلاغة إلىٰ ما قصَده من البُرهان علىٰ سِعة اطِّلاعه.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن علي الحسني القلعاوي، المعروف بالسحيمي، فقيه مصري، من أعيان الشافعية وصلحائهم، نسبته إلىٰ قلعة الجبل، وتوفي في سنة ١١٧٨هـ. انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٢٤٣).

وجاء الآلُوسيُّ[١] -من مُتأخِّري أهل العراق- فأخذ تفسيرَه من تفسير الإمام فخر الدين، إلَّا أنَّه حذف منه كثيرًا من الزَّوائد، وأضاف إليه وأحسن غاية الإحسان؛ ضمَّ إليه شيئًا من أقوال سلف المتأخِّرين ومتقدِّميهم، وإن لم يُميِّزْ بين ما قوي سندُه من هذه الأقاويل، فيقِي في الأمر بعضُ لبسٍ وإشكالٍ، وأضاف إليه أيضًا جملةً كبيرةً من تفاسير المتصوِّفة، فلم يكتفِ رَحِمَهُ اللَّهُ بجمع تأويلات المتأوِّلين التي تأوَّلوا بها القرآنَ للاستدلال علىٰ عقائدهم، وتطبيقها علىٰ ما أدَّتهم إليه عقولُهم منها؛ عملًا بقاعدتِهم المشهورة عندهم مِن وجوب تأويل النَّقل إذا عارض العقلَ حتىٰ يرجعَ إلىٰ العقل. فأضاف إلىٰ ذلك تأويلات المتصوِّفة التي صرَفوا بها القرآنَ عن ظاهرِه إلىٰ معانٍ لا تدلُّ الألفاظ العربيَّة عليها بوجهٍ من وجوه الدِّلالات المعروفة عند النَّاس، فجاء كتابُه جامعًا للطُّرق الثَّلاثة: طريقةِ السَّلف، وطريقة المتكلِّمين، وطريقة المتصوِّفة، إلَّا أنَّ طريقة السَّلف لم يتعرَّضْ فيها لبيانِ طرُق نقلِها، وتميُّز صحيحِها من سقيمِها، وكذلك كان ككُتب الحديثِ التي لا يُبيَّن فيها سندُ الحديث، وحالُ رجاله لا تقَع الثِّقة به، سيَّما إذا تعارَض مع غيرِه، ولم يقَع الترجيحُ بينهما بوجهٍ من وجوه الترجيح[٢].

أقولُ: هذا الذي نقَلناه -في حقِّ الرازي وتفسيرِه- عن الذهبيِّ، والعَسقلانيِّ، والسُّيوطيِّ، وبدر الدين غيرُ كافٍ في كشف عَوار هذا التفسير، والذي يَكشف عوارَه ويُبدي سوءَته ما كتبه في غمزٍ ولمزٍ وتقبيحٍ وتجهيلِ أهلِ

---

(١) هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، ولد في سنة ١٢١٧هـ، وتوفي في سنة ١٢٧٠هـ. الأعلام للزركلي (٧/ ١٧٦).

(٢) التعليم والإرشاد (ص ٨٩- ٩٢).

الحديث، ومنهم النبيُّ ﷺ وأصحابه والتابعون لهم، ومنهم الأئمَّة الأربعة وغيرُهم ممَّن أثبتوا لله تعالىٰ هذه الصفات التي ورد بها القرآن والسُّنَّة، وأثبتوا لله ما دلَّت عليه من غير تأويلٍ ولا تكييفٍ.

انظرْ -رحِمك اللهُ- بعين الإنصاف -خصوصًا- إلىٰ ما كتَبه الرازي علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]، وإلىٰ ما كتَبه علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧]، وما كتَبه علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] تجده في الآية الأولىٰ التي في سورة [ص][1] أورد علىٰ أهل الإثبات [اثنتي][2] عشرة حجَّةً عقليَّةً أبطل بها النُّصوص التي تمسَّكوا بها، ووصَفهم بأنَّهم مُشبِّهة[3]، وفي الآية الثانية التي في سورة غافر جهَّلهم وسأل الله أن يُخزيَهم[4]، والذي يظهر لي أنَّ هذا الرَّجل ما كان يَستحضِر -حالَ الرَّدِّ علىٰ أهل الحديث- إلَّا صورةَ نفسه، ثم أخَذ يُنزِّه اللهَ عن سائر الصِّفات التي هي من صفات الأجسام، فهو أوَّلًا شبَّه ثم عطَّل، ولو عقَل المسكين أنَّ هنا إلهًا ذاتُه ليست كالذَّوات، وصفاتُه ليست كالصِّفات، وإنِ اشتركَت في التَّسمية، لَمَا أقدَمَ علىٰ هذه المخازي، ولسنا الآن في صدد الرَّدِّ عليه، ولكنِّي أقول له كلمةً؛ وهي: إنَّكم -معشرَ المتكلِّمين- قد أثبتُّم له ﷻ الحياة والقدرة والإرادة والسَّمع والبصر والكلام... إلخ، مع أنَّكم تعلمون أنَّ كلَّ إنسانٍ ناطقٍ موصوفٌ بهذه الصِّفات، فلِمَ أثبتُّموها له تعالىٰ مع كونه

---

(١) في الأصل: طس.

(٢) في الأصل: اثنا.

(٣) التفسير الكبير (٢٦/ ٢٢٩).

(٤) التفسير الكبير (٢٧/ ٦٥).

يشاركُه فيها غيرُه من المخلوقات، فإن قلتم: أثبَتناها له تعالىٰ بوجهٍ غير الوجه الذي أثبَتناها للمخلوقين؛ فهو حيٌّ لا كحياة المخلوقين، وكذا قادرٌ ومريدٌ ومتكلِّمٌ، قُلنا لكم: ولِمَ لَمْ تُجروا هذا في سائر الصِّفات التي نفَيتمُوها؟! فالحاصل أنَّ كلَّ ما ذكَره في هذه المواضع مُحتجًّا به علىٰ أهل الإثباتِ فهو في الحقيقة سرابٌ بِقِيعةٍ[1] يحسَبه الظَّمآن ماءً حتَّىٰ إذا جاءه لم يجِده شيئًا! وأنَّىٰ لعَسكر الشَّيطان وجيوش الجهميَّة والمعطِّلة لمُلاقاة ومكافحة حزب الوَحْيَينِ وفي مقدِّمتهم نبيُّهم ﷺ، فهم يَضرِبون ويناضلون تحت راية القرآن، ألَا إنَّ حزب الله هم الغالبون، أولئك حزبُ الشَّيطان، ألَا إنَّ حزب الشَّيطان هم الخاسرون، ولولا مخافةُ طول المقام لنقَلتُ كلامَه ورددتُ عليه، وفي هذا القدرِ كفايةٌ لمَن أراد اللهُ عِصمتَه.

[كتب الفِقه]

وأمَّا كتب الفِقه؛ فعند وصفِها والكلامِ عليها يقف القلمُ مُندهشًا مُتحيِّرًا كيف يكتُب! ولكن إذا عرَّفتك فضْلَ الفقه، وكيف كان في زمن الصَّحابة ومَن بعدَهم إلىٰ الزمان الذي حدَث فيه التَّمذهُب والتَّشيُّع لكلِّ إمامٍ مخصوصٍ، [فعند][2] ذلك يَسهُل عليك ما لاقَيتَه من الدَّهشة والحَيرة.

فاعلم -أيُّها القارئ السُّنِّيُّ الذي لم يضربْ بمِعول[3] المذهب والعصبيَّة- أنَّ الفقه هو لُبُّ الكتاب والسُّنَّة، وكيف لا يكون كذلك وقد قال ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[4]، وقال: «**النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ،**

(١) القِيعة: جمع القاع، وهو ما انبسط من الأرض وفيه يكون السَّرابُ نصف النهار. لسان العرب (قوع).

(٢) في الأصل: فقد.

(٣) أي: الفأس.

(٤) أخرجه البخاري (رقم٧١)، ومسلم (رقم ١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا»[١].

ولكن، ما هو الفِقه؟

اعلمْ أوَّلًا: أنَّ الفقه ليس هو الذي تجِده مسطورًا في هذه الكُتب الكثيرة الضَّخمة، وإنَّما الفِقه هو الفَهم عن الله ورسوله، والفِقه الذي حضَّ رسولُ الله ﷺ علىٰ تعلُّمه وتعليمِه هو الفقه المُستَنبَطُ من الكتاب والسُّنَّة، وأنت -أيُّها القارئُ- ما أظنُّك تخالِفني إذ أُلْفِتُ نَظَرَكَ إلىٰ عصر الصَّحابة والتَّابعين، أسألك أوَّلًا: هل كانت هذه الكتب التي تراها في هذا الزمان كلُّها موجودةً في تلك العصور المشهود لأهلها بالخير، أو كانوا يحفظون كلَّ ذلك؟! فما أظنُّك تقول بالأوَّل؛ لأنَّ الحِسَّ يرُدُّه، ويجوز أن تقولَ بالثاني، فإن قلتَ به، فلِمَ لمْ تنقل عنهم بالأسانيد الصَّحيحة، ومؤلَّفات القوم في تلك العصور معروفةٌ مشهورةٌ، ونحن نعلم قطعًا أنَّ رسول الله ﷺ مات عن مائة ألفٍ وأربعةٍ وعشرين صحابيًّا، فلو أخَذنا نعدُّ العلماءَ منهم بالفِقه ما نجد في الألف واحدًا، فالمعروفون بالفَتوىٰ كانوا أُناسًا معدودين، وكذلك في عصر التَّابعين فمَن بعدَهم إلىٰ وقت ظهور التَّمذهب، ومع كلِّ ذلك، فما كنَّا نسمَع أنَّ فلانًا عُمَريٌّ، أو بكريٌّ، أو عُثمانيٌّ، أو علويٌّ، ولا زُهريٌّ، ولا غير ذلك من الانتساب إلىٰ واحدٍ بعينه، بل كانت طريقتُهم في تعلُّم هذا الدين، هو أن يسألَ العامِّيُّ مَن يعتقد أنَّه من أهل العلم عن حُكم الله في المسألة، فيُفتيه بما يَعلمُه فيها من كتابٍ أو سنَّةٍ، ولم يقُلْ له: رأيي، ويجب عليك أن تُقلِّدني.

وما زال الأمر علىٰ هذه الحالة حتىٰ حدث التَّمذهُب، فعند ذلك انبَرىٰ كلُّ

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٣٥٣)، ومسلم (رقم ٢٥٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

فريقٍ يتبعُ إمامًا مخصوصًا، وليتهم انتسبوا إلىٰ أحدٍ من الصَّحابة والتَّابعين، بل تبِعوا أئمَّة غيرهم، وهجَروا فتاوىٰ الصَّحابة والتَّابعين، وحرَّموا علىٰ النَّاس العمل بها، وأوجبوا عليهم العملَ بما قاله أصحاب هذه المذاهبِ، وليتَهم اقتصروا علىٰ أقوال أئمَّتهم، بل أخَذوا في التَّأصيل والتَّفريع علىٰ أقوالهم، وإن خالَفت ما كتَبه الأئمَّة ودوَّنوه في كتُبهم.

وأنت تعلَم أنَّ أئمَّة المذاهب كلامهم مِعشار عُشر ما في هذه الكتب التي نراها الآن، مع كونهم قد قالوا: إنَّ باب الاجتهاد قد سُدَّ وأُغلِق بعد عصر الأئمَّة الأربعة، وكيف ساغ لهم فتحُ هذا الباب إن سُدَّ وأُغلِق، فلا ندري أهُم سدُّوه علىٰ النَّاس فقط وفتَحوه لأنفُسهم؟! ولو رأيتَ ما يَفعلُه أتباع أهل هذه المذاهب بالنُّصوص القرآنيَّة، والأحاديث الصحيحة النبويَّة من التأويل والتَّحريف، وجَرح المُعدَّل، وتَعديل المجروح، لرَأيت أمرًا عجيبًا، فإذا سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ أَدْرَكَ مِنَ الصَّلَاةِ رَكْعَةً قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَدْرَكَ الصُّبْحَ**»[1]، ثم ترجِع إلىٰ الطَّحاوي لتنظُر ما قال في هذا الحديث الذي يُخالِف مذهبَه لوجدتَه يقولُ: «معنىٰ الإدراكُ هو الاحتلام[2]، لا بمعنىٰ التحصيل».

وإذا سمعت أنَّ رسول الله ﷺ كان يصلِّي في حُجرة عائشة وهي مُعترضةٌ بين يدَيه كالجِنازة[3]، فإذا سجَد غمَزها في رجلِها لترفعَها لأجلِ أن يسجُد[4]، وأنَّها

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٧٩)، ومسلم (رقم ٦٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كذا ولم أجد هذا الكلام للطحاوي.

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٥١٢)، ومسلم (رقم ٥١٢).

(٤) هذه الزيادة أخرجها أبو داود (رقم٧١٢)، وصححها الألباني في صحيح أبي داود (رقم٧٠٦).

التَمَسَته ذات ليلةٍ، فوقَعت يدُها علىٰ قدمَيه الشَّريفتين وهما منصوبَتان[١]، وأنَّها أَدخلت يدَها في أصول شعَرِه لتنظرَ؛ هل اغتَسل أم لا[٢]؟ ومع كلِّ هذا لم يَتوضأْ مِن لمسِه إيَّاها، ثمَّ رجَعتَ إلىٰ الشَّافعية -مثلًا- لقالوا لك: لعلَّه كان بحائلٍ.

وإذا نظَرت في الموطَّأ وغيره، ورأيتَ أنَّ رسول الله ﷺ كان يُبَسمِل في الصلاة[٣]، وكان يضَعُ يدَه علىٰ صدرِه، كما وردت بذلك الأحاديثُ الكثيرة المفيدة لذلك[٤]، ثمَّ رجعتَ إلىٰ المالكيَّة لقالوا لك: البَسمَلةُ في أوَّل الفرض مكروهةٌ، والسُّنَّة في الصَّلاة هو السَّدل، مُستدلِّين برواية ابن القاسم في المُدوَّنة[٥].

وإذا نظرتَ في كتب السُّنَّة الصَّحيحة، ورأيتَ أنَّ رسول الله ﷺ قد حَكم في المُصَرَّاة[٦] بردِّها وصاعٍ من تمرٍ معها[٧]، لقالوا لك: هذا الحديثُ مخالفٌ للقياس، فلا يُقبَل.

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٤٨٦).

(٢) أخرجه النسائي (رقم ٣٩٦٠)، وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن النسائي (٩/ ٣٢).

(٣) لم أجد النَّص في الموطأ علىٰ بدء القراءة بالبَسملة بعد طول بحثٍ، ولكنَّ فيه أنَّه يبدأ بالفاتحة والبَسملة آية فيها اتِّفاقًا. انظر: الموطأ (رقم ٢٧٥، ٢٧٦). وأخرج الدارقطني (٢/ ٨٦) بسنده: عن عبد الحميد بن جعفر، عن نوح بن أبي بلال، عن سعيد بن أبي سعيدٍ المقبُري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَرَأْتُمُ: الْحَمْدُ للهِ، فَاقْرَءُوا: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ إِنَّهَا أُمُّ الْقُرْآنِ، وَأُمُّ الْكِتَابِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي، وَبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِحْدَاهَا». قال أبو بكر الحنفي: ثمَّ لقيت نوحًا، فحدَّثني: عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة بمثلِه، ولم يَرفعْه. والمعنىٰ أنَّه مُرسلٌ.

(٤) انظر: مسند أحمد (رقم ٢١٩٦٧)، وسنن أبي داود (رقم ٧٥٩).

(٥) المدونة ١/ ١٩٧.

(٦) المُصرَّاة: الناقة أو البقرة أو الشاة يُجمع اللبن في ضرعها بحبسه، فلا تحلب أيَّامًا حتىٰ يجتمع اللبنُ في ضرعها، فإذا بيعت استغزرها المشتري. ينظر: النهاية في غريب الحديث (صرو).

(٧) أخرجه البخاري (رقم ٢١٥١) ومسلم (رقم ١٥٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وإذا قلتَ لهم: إنَّ رسول الله ﷺ قد قضىٰ بالقِصاص من اللَّطْمة[١]، وأنَّه أَقاد فيمَن قُتل بحَجَرٍ[٢]، لقالوا لك: لا قِصاصَ في اللَّطْمة؛ لأنَّها لا تقدَّر، ولا قوَد في الحَجَر، ولو ضربه بأبي قُبَيس[٣].

وإذا نظرتَ في السُّنَّة في أبوابِ النَّجاسات -مثلًا- تجدُ أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يأمُرْ بغَسل الإناء سبعًا إحداهنَّ بالتُّراب إلَّا مِن وُلوغ الكلب[٤]، ثم رجعتَ إلىٰ كتب الحنابِلة، لرأيتَهم يقولون: سائرُ الأنجاسِ كالكلابِ- تُغسَل سبعًا إحداهُنَّ بالتُّراب، مستدلِّين بأثر بعضِ الصَّحابة، وهذا وحدَهُ لا تقومُ به حجَّةٌ.

وإذا نظرتَ في كتب السُّنَّة في باب التَّحليل، لوجدتَ فيها أن رسول الله ﷺ لعن المحلِّل والمحلَّل له، وأنه التيس المستعار[٥]، ثم رجعتَ إلىٰ **حاشية ابن عابدينَ علىٰ الدُّرِّ المختارِ** لوجدتَه يقول -نقلًا عن أصحابه: إنَّه مأجورٌ[٦]. فرسول الله ﷺ يقول: «**مَلْعُونٌ**»، وهم يقولون: مَأجورٌ. وهل يُرضي أبا حنيفةَ ذلك؟! كلَّا.

والحاصلُ أنَّ هذه المذاهبَ قد قضَت علىٰ النُّصوص القرآنيَّة والنبويَّة، فإذا فسَّر القرآنَ حنفيٌّ -مثلًا- أو مالِكيٌّ، أو شافعيٌّ، أو حنبليٌّ، أو زَيديٌّ، أو جعفريٌّ،

---

(١) أخرجه أحمد (رقم١٦٤٤٢) من حديث جابر رضي الله عنه، والنسائي (رقم ٤٧٧٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٦٨٧٧)، ومسلم (رقم ١٦٧٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أي: ضربه بمثل جبل أبي قُبَيس وهو أحد الأخشبين المعروفين. ينظر: تاج العروس (خشب).

(٤) أخرجه مسلم (رقم ٢٧٩)، وأخرجه البخاري (رقم ١٧٢) دون ذكر التراب، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه ابن ماجه (رقم ١٩٣٦) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (رقم٢٥٩٦).

(٦) حاشية ابن عابدين مع الدر المختار (٣/ ٤١٥).

أو إباضيٌّ، جعَل القرآنَ والسُّنَّة أدلَّةً لمذهبِه، وقابله الآخرُ بالمِثل، والحالُ أنَّهم قد قرَّروا قاعدةً، وهي: «إنَّ الدَّليل إذا طرَأ عليه الاحتمالُ، سقط به الاستدلالُ!».

فعلىٰ هذا، لا تكون نصوص القرآن والسُّنَّة حجَّةً؛ لأنَّها كلَّها قد طرَأ عليها الاحتمالُ، فسقط بها الاستدلال! وهم يقولون: إنَّ الحقَّ عند الله في كلِّ مسألةٍ واحدٌ، فلا أدري ما هذا! ونسمَعهم يقولون: «عندنا: ضعيفُ الحديثِ مُقدَّمٌ علىٰ القياس»، ثمَّ نجدهم بعد ذلك يقدِّمون قياس الشّبه علىٰ الحديث الصَّحيح، فما هذا التَّناقُض؟! وجاء المتأخِّرون مِن بعدِهم، فلم يقِفوا عند حدٍّ معلومٍ، بل كلُّ مَن استحسن شيئًا، ورأىٰ رأيًا، سطَره في كتابه، ويأتي الذي بعدَه ويقولُ: هذا مذهب أبي حنيفة، ومالك، والشافعيِّ، وأحمد، واللهُ يشهَد أنَّ هذا القول ما قاله أحدٌ منهم، ولا سمِع به قطُّ.

فلو رأيتَ الباجوريَّ في حاشيتِه علىٰ ابن قاسمٍ وهو يقول في غسل الميِّت، وأنَّه فرضٌ علىٰ الكِفاية، وإذا مات الميِّتُ ولم يغسِّلْه أحدٌ، فأحياه الله حتىٰ غسَّل نفسَه ثم مات، هل يَسقُط الفرضُ عمَّن لم يَفعلْ؛ كما وقَع كذلك كرامةً لسيِّده أحمد البدويِّ[1]!

وإذا رأيتَه يقول: السُّنَّة في تأخير ثلُث الصَّداق هو ما ورَد أنَّ سيِّدنا آدمَ عليه السلام لَمَّا زوَّجه اللهُ حواءَ عليها السلام فطلب منه صداقَها، فلم يجدْ شيئًا يُصدِقها به، فطلَب منه سبحانه أن يُصلِّيَ علىٰ سيِّدنا محمدٍ مائة مرَّةٍ في نفَسٍ واحدٍ ففَعل، حتىٰ إذا بلَغ ستًّا وستين مرَّةً انقَطع نفَسُه، فقال: «هَذِهِ سُنَّةُ الصَّدَاقِ فِي ذُرِّيتِكَ»[2]! إلىٰ غير ذلك ممَّا

(١) انظر حاشيته (١/ ٤٧٠).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٢٣).

لا يَشهَد له عقلٌ ولا نقلٌ، لقُلتَ هذا مذهبُ الشافعيِّ؛ لأنَّ الباجوريَّ من الشافعيَّة.

وهذا قليلٌ من كثيرٍ تَرَكْناه خوفَ التَّطويل، فإذا كان حالُ كتُب الفقه كما وصَفنا، وجَب أن نرجع إلىٰ ما كان عليه عصر الصَّحابة والتَّابعين والأئمَّة المجتهدين، فنستعين علىٰ فهم كلام الله، وكلام رسوله بأفهامهم وأقوالهم، مُطَّرِحين ما حدث بعدَهم من هذه الأقوال المُتضاربة المتناقضة المخالِفة لِمَا جاء به الرَّسول، ونكونُ حينئذٍ قد رجَعنا إلىٰ الأمر الأوَّل، فعند ذلك تُحسَم وتُقطَع مادَّة النِّزاع والتَّفرقة، والله الموفِّق.

[كتب الحديث]

وأمَّا كتُب الحديث؛ فهي -والله- محَطُّ الرِّحال، وغاية الآمال، وبُغْية المُسترشِدين، إذا سَلِمَت وجُرِّدت من الأحاديث الواهية، والأخبار الموضوعة علىٰ رسول الله ﷺ التي لم يقُلْ حرفًا منها قطُّ، ولم تُترك بين دفَّتَي هذه الكتب من غير تنبيهٍ عليها ولا تبيين بكشف حالِ واضعيها، وإذا سَلِمَت من تأويلِ الجاهلين وتحريف الضَّالِّين الغَالين، والله المُستعان.

[كتب التَّصوُّف، وذِكر الغزَّاليِّ وابن عربي]

وأمَّا كتُب التَّصوُّف؛ فقد أسلَفْنا لك بيانَ حالِها ودرجتِها وتأثيرِها علىٰ المسلمين، ولكنَّا نكتفي في هذا المقامِ بما قاله العلماءُ في ترجمة إمامَيْها المقدَّمَين عند الصُّوفية. وعلىٰ كتُبهما، والتَّفريع عليها، والاقتصار فيها يدورُ المتأخِّرون عليهما: وهُما الشَّيخُ أبو حامد محمد بن محمد الغزَّاليُّ الطُّوسيُّ صاحب كتاب **الإحياء**، والثاني: هو الشيخ مُحيي الدِّين محمد بن عليٍّ الشهير بابن عربي الحاتمي صاحب **الفتوحات المكّية**، و**فصوص الحكمة**، ومن جاء

بعدهما، فإنَّما يَضرب علىٰ نغمتهما، لا يَخرُجون عنهما إلَّا بالزيادة عليهما.

فأمَّا أبو حامد الغزَّاليُّ، فإليك ما أنقلُه لك من كتاب الشَّيخ سليمان بن سَحمان النَّجدي في كتابه المسمىٰ بـ: **البيان المُبدي [لِشناعة]**[1] **القول المُجدي** في الرَّدِّ علىٰ كتاب بابصيل[2]؛ قال في صفحة (١٤٠) من الكتاب المذكور:

«قال شيخُنا؛ شيخ الإسلام، وقدوةُ العلماء الأعلام، الشيخ عبد اللَّطيف بن الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسنٍ رحمه الله تعالىٰ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مِن عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن، إلىٰ الأخ عبد الله بن معيذر

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعدُ؛

فقد بلغَني عنك ما يشغلُ كلَّ من له حميَّةٌ إسلاميةٌ، وغَيرةٌ دينيةٌ، علىٰ الملة الحنيفيَّة؛ وذلك أنَّك اشتَغلت بالقراءة في كتاب: **الإحياء** للغزَّاليِّ، وجمَعت عليه مَن لَديك مِن الضُّعفاء والعامَّة الذين لا تمييزَ لهم بين مسائل الهِداية والسعادةِ، ووسائل الكفر والشَّقاوة، وأسمَعْتَهم ما في **الإحياء** من التَّحريفات الجائرة،

---

(١) في الأصل: لشفاعة.

(٢) هو محمَّد بن سالم بن سعيد بابصيل، فقيه شافعيّ متصوف، من أهل مكة، أصله من حضرموت، توفي بعد ١٣٨٠هـ. الأعلام للزركلي (٦/ ١٣٥).

من أفضل من كتب عن الإمام الغزالي وكتابه إحياء علوم الدين- خاصة: صاحبنا الشيخ الدكتور/ عبد الله بن سالم البطاطي في كتابه: أبو حامد الغزالي وكتابه إحياء علوم الدين وقفة موضوعية ورؤية نقدية، نشر مركز التأصيل للدراسات والبحوث بجدة ١٤٣٦هـ.

والتَّأويلات الضَّالَّة الخاسرة، والشَّقاشق[١] التي اشتمَلت علىٰ الداء الدَّفين، والفلسفة في أصل الدِّين، وقد أمَر الله تعالىٰ وأوجب علىٰ عبادِه أن يتَّبعوا رُسلَه، وأن يلتزموا سبيلَ المؤمنين، وحرَّم اتِّخاذ الولائج من دون الله ورسوله، ومن دون عباده المؤمنين، هذا الأصل المحكمُ لا قوامَ للإسلام إلَّا به.

وقد سلك في الإحياء طريق الفلاسفةِ والمتكلِّمين، في كثيرٍ من مباحث الإلهيَّات وأصول الدينِ، وكسَا الفلسفةَ لحاء الشَّريعة، حتىٰ ظنَّها الأغمارُ والجُهَّال بالحقائق من دين الله الذي جاءت به الرُّسلُ، ونزَلَت به الكتبُ، ودخَل به النَّاس في الإسلام، وهي في الحقيقة محضُ فلسفةٍ مُتِنةٍ، يعرفُها أُولو الأبصار، ويَمُجُّها[٢] من سلَك سبيلَ أهل العلم كافَّةً في القُرىٰ والأمصار، قد حذَّر أهلُ العلم والبَصيرة عن النَّظر فيها، ومُطالَعة خافيها وباديها، بل أفتىٰ بتَحريقِها علماءُ المغرب ممَّن عُرف بالسُّنَّة، وسمَّاها كثيرٌ منهم: إماتةُ علوم الدِّين!

وقام ابنُ عقيلٍ أعظم قيامٍ في الذمِّ والتَّشنيع، وزيَّف ما فيه من التَّمويه والتَّرقيع، وجزَم بأنَّ كثيرًا من مباحثِه زَندقةٌ خالصةٌ، لا يُقبَل لصاحبها صرفٌ ولا عدلٌ. قال شيخ الإسلام: «ولكنَّ أبا حامدٍ دخَل في أشياء من الفلسفة، وهي عند ابن عقيلٍ زَندقةٌ، وقد ردَّ بعضَ ما فيه من تأويلاتِ الفلاسفة».

وردَّ عليه شيخ الإسلام في السَّبعينيَّة، وذكَر قولَه في العقول والنُّفوس، وأنَّه مذهب الفلاسفة، فأفاد وأجاد، وردَّ عليه غيره من علماء الدِّين، وقال فيه تلميذُه

---

(١) الشقشقة: شيء كالرئة يخرجه الجمل من فيه إذا هاج وهدر، (ج) شقاشق، ويقال: هدرت شقشقة فلان: ثار أو أفصح في كلام. ينظر: المعجم الوسيط (شقشق).

(٢) مَجَّ الرجل الشرابَ والشيءَ مِن فِيه. والمراد: رماه. ينظر: تاج العروس (مجج).

ابن العربيِّ المالكيِّ[١]: «شيخنا أبو حامدٍ دخل في جَوف الفلسفة، ثمَّ أراد الخروجَ، فلم يُحسِن، وكلامُ أهل العلم معروفٌ في هذا لا يُشكِل إلَّا علىٰ من هو مُزجَىٰ البضاعة[٢]، أجنبيٌّ عن تلك الصِّناعة»»، إلىٰ أن قال: «إذا سمِعتَ ببعض عباراتِه المُزخرفة، قلتَ: كيف ينهانَا عن هذا فلانٌ، أو يأمُر بالإعراض عن هذا الشَّأن؟! كأنَّك سقطتَ علىٰ الدرَّةِ المفقودة، والضَّالَّة المنشودة، وقد يكون ما أطربَك، وهزَّ عظامَك وحرَّكك، فلسفةً منتنةً، وزَندقةً مبهمةً، أُخرجت في قالب الأحاديث النَّبويَّة، والعبارات السَّلفيَّة».

إلىٰ أن قال: «ثم جمَعت بعض أقوال أهل العلم وما أفتوا به في هذا الكتاب، وتحذيرهم للطالب والمُسترشِدِ»، ثمَّ ذكر كلَامًا طويلًا للذَّهبيِّ في ترجمته للغزَّاليِّ، قال: «ومِن مُعجم أبي عليٍّ الصَّدفيِّ[٣] في تأليف القاضي عِياضٍ[٤] له قال: الشيخ أبو حامدٍ، ذو الأنباءِ الشَّنيعة، والتَّصانيف العظيمة، غلَا في طريقة التَّصوُّف، وتجرَّد

(١) هو الإمام، العلامة، الحافظ، القاضي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي، الإشبيلي، المالكي، صاحب التصانيف، ولد في سنة ٤٦٨هـ، توفي بفاس، في شهر ربيع الآخر سنة ٥٤٣هـ. سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٩٧).

(٢) أي: قليل البضاعة. لسان العرب (مزج).

(٣) هو الحسين بن محمد بن فِيرَّة بن حيُّون بن سُكَّرَة، أبو علي الصَّدَفيّ السَّرَقُسْطي الأندلسي الحافظ، استُشْهِد أبو علي الصدفي في وقعة قُتُنْدَة بثغر الأندلس، لستٍّ بقين من ربيع الأول سنة ٥١٤هـ، وهو من أبناء الستين. تاريخ الإسلام للذهبي (١١/ ٢١٨).

(٤) هو عياض بن موسىٰ بن عياض بن عمرو بن موسىٰ بن عياض بن محمد بن موسىٰ بن عياض اليحصبي، القاضي، أبو الفضل السبتي، أحد الأعلام، ولد بسبتة في النصف من شعبان سنة ٤٧٦هـ، توفي بمراكش مُغَرَّبًا عن وطنه في ليلة الجمعة نصف الليل، التاسعة من جمادىٰ الآخرة سنة ٥٤٤هـ. تاريخ الإسلام للذهبي (١١/ ٨٦٠).

لنُصرة مذهبِهم، وصار داهيةً في ذلك، وألَّف فيه تآليفه المشهورة، أُخِذ عليه فيها مواضعُ، وساءت به ظنونُ الأمَّة، واللهُ أعلَمُ بسِرِّه، ونفذ أمرُ السلطان عندنا بالمغربِ، وفتوىٰ الفقهاء بإحراقها، والبُعد عنها، فامتثل ذلك».

وقال الذَّهبيُّ أيضًا: «قد ألَّف الرَّجل في ذمِّ الفلاسفة كتاب التَّهافُت وكشَف عوارَهم، ووافَقهم في مواضعَ ظنًّا منه أنَّ ذلك حقٌّ، أو مُوافقٌ للمِلَّة، ولم يكنْ له علمٌ بالآثار، ولا خبرةٌ بالسُّنَّة النَّبويَّة القاضية علىٰ العقل، وحُبِّب إليه إدمانُ النَّظر في كتاب رسائل إخوان الصفا، وهو داءٌ عُضالٌ، وجرَبٌ مُرْدٍ، وسُمٌّ قاتلٌ، ولولا أنَّ أبا حامدٍ من الأذكياءِ وخِيارِ المخلصين لتَلِفَ. فالحذرَ الحذرَ مِن هذه الكتب! واهرَبوا بدينكم من شُبَه الأوائل، وإلَّا وقَعتُم في الحَيرة. فمَن رام النَّجاةَ والفوز، فلْيَلزم العُبوديَّة، ولْيُكثر الاستغاثةَ بالله، ولْيَبتهلْ إلىٰ مولاه في الثَّبات علىٰ الإسلام، وأن يتوفَّىٰ علىٰ إيمان الصَّحابة وسادات التَّابعين، والله الموفِّق، فبِحُسن قصدِ العالم يُغفَر له وينجو إن شاء اللهُ»[1].

قلتُ: فتأمَّلْ كلامَ الذهبيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو من أئمَّة الشَّافعيَّة المشهورين بالصلاح والمعرفة والدِّينِ، حيث قال: «ولم يَكُنْ له علمٌ بالآثارِ، ولا خبرةٌ بالسُّنَّة النَّبويَّة القاضية علىٰ العقل»، ثم تأمَّلْ ما ذكَره المكيُّ؛ مِن أنَّ كتاب الإحياءِ هو عبارةٌ عن شرح الكتاب والسُّنَّة والطَّريقة، وهو موضعُ نظرِ الله تعالىٰ، وموضِع نظرِ رسول الله! سُبحانك هذا بهتان عظيم!

وقال قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن [حمدين][2] القرطبيُّ: «إنَّ

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٨- ٣٢٩).

(٢) في الأصل: أحمد. وهو العلامة، قاضي الجماعة، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد

بعضًا ممَّن كان يَنتحلُ رسمَ الفقه، ثم تبرأَ منه شغفًا بالشَّرعة الغزَّاليَّة، والنِّحلة الصُّوفيَّة، أنشأ كرَّاسةً تشتمل علىٰ معنىٰ التَّعصُّب لكتاب أبي حامد إمام بدعتِهم، فأين هو من تشنيعِ مناكيره، وتضليل أساطيره المباينة للدِّين، وزعمِ أنَّ هذا من علمِ المعاملة، المُفضي إلىٰ علم المُكاشفة، الواقِع بهم علىٰ سرِّ الرُّبوبية الذي لا [يُسفِر عن قِناعه][1]، ولا يفوز باطِّلاعه إلَّا مَن تمطَّىٰ إلىٰ شيخ ضلالتِه التي رفَع لهم أعلامَها، وشَرع أحكامَها»[2].قال أبو حامد: «وأدنىٰ من هذا العِلم التصديقُ به، وأقلُّ عقوبتِه ألَّا يُرزق المُنكِر فيه شيئًا»، فاعرِض مِن قوله علىٰ قوله، ولا تشتغل بقراءة قرآنٍ، ولا بكَتْب حديثٍ؛ لأنَّ ذلك يقطَعُه عن الوصول إلىٰ إدخال رأسِه في كُمِّ جبته، والتَّدثُّر بكِسائه، فيسمع نداء الحقِّ!

فهو يقول: ذَرُوا ما كان السَّلف عليه، وبادِروا ما آمُركم به، ثمَّ إنَّ القاضي أقذع وسبَّ وكفَّر، وقال أبو حامدٍ: «وصدور الأحرار قبور الأسرار، ومن أفشىٰ سرَّ الربوبيَّة كفر»[3]. ورأىٰ مِثل قتلِ الحلَّاج خيرٌ من إحياء عشرةٍ؛ لإطلاقِه ألفاظًا، ونُقل عن بعضِهم قال: «للربوبيَّة سرٌّ، لو ظهر لبَطلَت النُّبوَّة، وللنُّبوَّة سرٌّ لو كُشف لبَطل العلم، وللعلم سرٌّ لو كُشف لبَطلَت الأحكامُ». قلتُ: سرُّ العلم قد كُشِف بصوفيَّة أشقياء، فانحلَّ النظام، وبَطل لديهم الحلالُ والحرامُ.

= العزيز بن حمدين الأندلسي، المالكي، صاحب فنون ومعارف وتصانيف، توفي في المحرم، لثلاث بقين منه سنة ٥٠٨هـ، عن تسع وستين سنة. سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦١٤).

(١) في الأصل: يفر عن قناعة.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٣٢).

(٣) مشكاة الأنوار (ص٤٠).

قال ابن [حمدين][1]: ثم قال: الغزَّاليُّ بهذا إن لم يُرد إبطالَ النُّبوَّة في حقِّ الضُّعفاء، فما قال ليس بحقٍّ، فإنَّ الصحيح لا يتناقضُ، وإنَّ الكاملَ لا يُطفئ نارَ معرفته نورُ ورعِه.

وقال الغزَّاليُّ: «العارفُ تتجلَّىٰ له أنوارُ الحقِّ، وتنكشِف له العلوم المَرمُوزة المحجُوبة عن الخلقِ، فيعرف معنىٰ النُّبوَّة، وجميع ما ورَدت به ألفاظُ الشَّريعة التي نحن منها علىٰ ظاهرِها». قال عن بعضِهم: «إذا رأيتَه في البداية، قُلتَ: صدِّيقًا، فإذا رأيتَه في النِّهاية، قُلتَ: زِنديقًا». ثمَّ فسَّره الغزَّاليُّ فقال: «إذ اسمُ الزِّنديق لا يلصق إلَّا بمُعطِّل الفرائض، لا بمُعطِّل النَّوافل». وقال: «ذهبت الصُّوفيَّة إلىٰ العلوم الإلهاميَّة دون التعليميَّة، فيجلس فارغَ القلب، مجموع الهمِّ، يقول: الله الله! علىٰ الدوام، فيفرغُ قلبُه، ولا يشتغل بتلاوةٍ ولا كتْب حديثٍ، فإذا بلَغ هذا الحدَّ، التزم الخَلوة ببيتٍ مظلمٍ، ويدثَّر بكِسائه، فحينئذٍ يسمع نداء الحقِّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ [المزمل: ١]».

قلتُ: إنَّما سمِع شيطانًا، أو سمع شيئًا لا حقيقة له من طيشِ دِماغه، والتَّوفيقُ في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة والإجماع.

وقال أبو بكر الطَّرطوشيُّ[2]: «شحَن أبو حامدٍ كتابَه: الإحياء بالكذبِ علىٰ رسول الله ﷺ، وما علىٰ بسيطِ الأرض أكذب منه، شبَّكه بمذاهب الفلاسفة ومعاني رسائل إخوان الصَّفا، وهم قومٌ يَرون النُّبوَّة مُكتسبةً، وزعَموا أنَّ

(١) في الأصل: أحمد. وسبق التعريف به.

(٢) هو الإمام، العلامة، القدوة، الزاهد، شيخ المالكية، أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري، الأندلسي، الطرطوشي، الفقيه، عالم الإسكندرية، قيل: كان مولده في سنة ٤٥١هـ، قال ابن المفضل: توفي بالإسكندرية، في جمادىٰ الأولىٰ، سنة ٥٢٠هـ. سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٩٠).

المُعجزات حِيَلٌ ومخاريقُ»[١]. [٢] انتهىٰ.

قلتُ: والمقصودُ أنَّه ذكَر في ترجمته للغزَّاليِّ: أنَّ مَن لم يَقرأ في كتُبه، ويَعمل بمقتضاها، فهو من أهل الباطل.

وقد رأيت ما ذكَره هؤلاء الأئمَّة الأفاضل من ذمِّ كتب الغزَّاليِّ، وعلىٰ زعم هذا المكِّيِّ؛ أنَّ الهُدىٰ لا يُؤخَذُ من الكتاب والسُّنَّة، ولا يُعمل بمقتضاهما، ويَكفي من ذلك النظرُ في الإحياء، والعملُ بمقتضاه! وهل هذا إلَّا نَبذٌ للكتاب والسُّنَّة وراء الظهر؟! فالله المستعانُ.

ويَلزم من كلامِه هذا؛ أنَّ أئمَّة الإسلام المذكورين، أهلُ ضلالٍ، وليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة؛ لأنَّهم حذَّروا عن النَّظر في كتُبه، ونبَّهوا علىٰ ما فيها من الأمور المخالفة للشَّريعة الإسلاميَّة، والطريقة المحمَّديَّة، وأنَّه شحَن كتاب الإحياء بالكذب علىٰ رسول الله ﷺ، وشبَكه بمذاهب الفلاسفة، وأمَّا أبو حامدٍ نفسُه، فذكَر شيخ الإسلام أنَّه في آخِر عُمُره «استقرَّ أمرُه علىٰ الحَيرة والوقوف، بعدَ أن نظر فيما كان عنده من طرُق النُّظَّار؛ أهلِ الكلام والفلسفة، وسلَك ما تبيَّن له من طرق العبادة، والرِّياضة والزَّهادة، وفي آخر عُمُره اشتغل بالحديثِ؛ بالبخاريِّ ومسلمٍ»[٣]. انتهىٰ.

وليس المراد بما نقَلناه إلَّا التَّنبيه علىٰ ما في كتُبه من التَّأويلات الجائرة، لِيكون المسلمُ علىٰ حذرٍ من تلك الورطات، ولعلَّه أن يهرَب بدينه من شُبَه الأوائل، كما ذكر ذلك الثِّقات الأثباتُ.

---

(١) انظر: مقالة الأستاذ مصطفىٰ المنوني (أبو حامد الغزالي: دراسات في فكره وعصره)، نشرة كلية الآداب في الرباط (ص١٣٥). فقد نقل كلام الطرطوشي هذا من كتابه (الأسرار والعبر)، من قطعة مخطوطة منه.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٣٣- ٣٣٤).

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٦٩).

وبما ذكَرناه تَعرفُ ضلال هؤلاء المتنطِّعين المتهوِّكين، الحَيارىٰ المَفتونين، وأنَّهم عن معرفة الهدىٰ وحقائق المعارف، ومدارك الأحكام بمعزلٍ، وليس عندهم إلَّا التَّقليد المحض العاري عن الدَّليل، وتنفير العوامِّ والطَّغام[1] عن دين الله ورسوله، وعن ما عليه السَّلف الصَّالح، والصَّدر الأوَّل من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله، والتَّحذير عمَّن هذه طريقته وهذه نِحلته، فنعوذ بالله من الحَورِ بعد الكَور[2]، ومن الضلال بعد الهدىٰ، ومن الغَيِّ بعد الرشاد.

وكان الأولىٰ بهذا المكي أن يكون حظه علىٰ لزوم الصحيحين والسنن والمسانيد، وعلىٰ تفاسير أهل التحقيق؛ **كتفسير محمد بن جرير الطبري، وتفسير العماد بن كثير، والبغوي**، وغيرهم من تفاسير أهل السنة، وأما كتب الغزالي فهي كما سمعتَ كلام العلماء فيها، والواجب علىٰ كل مسلم الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة والعَضُّ عليهما بالنواجذ، والحض عليهما وترك ما خالفهما، ولزوم هدي الصحابة وما كانوا عليه؛ فإنهم كانوا هم أبرّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإظهار دينه.

وقد قال بعض أهل التحقيق من أهل العلم في أبياتٍ له قال فيها:

يا باغي الإحسان يطلب ربه ... ليفوز منه بغاية الآمال

انظر إلىٰ هدي الصحابة والذي ... كانوا عليه في الزمان الخالي[3]

إلخ إلخ.

---

(١) الطَّغام: أوغاد الناس. ينظر: تاج العروس (طغم).

(٢) الحور بعد الكور: النقصان بعد الزيادة. تاج العروس (حور).

(٣) البيان المبدي لشناعة القول المجدي (ص ١٤٠- ١٤٧).

الفهارس العلمية

فهرس آيات القرآن الكريم

السورة/ الآية	الصفحة
البقرة	
﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [٧٥]	٤٥
الأنعام	
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ﴾ [١١٥]	٤٥
التوبة	
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [٦]	١٤، ٤٥
الإسراء	
﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ﴾ [٦٧]	٣٢
طه	
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [٥]	٤٦
الأحزاب	
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ﴾ [٤٩]	٤٧

السورة/ الآية	الصفحة
ص	
﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [٧٥]	٥٥
غافر	
﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [٣٦- ٣٧]	٥٥
الفتح	
﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ ﴾ [١٥]	٤٥
الملك	
﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [١٦]	٥٥

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
إذا سجد غمزها في رجلها	٥٨
إذا ضاقت عليكم الأمور فعليكم بأهل القبور	٣٩
أن رسول الله ﷺ كان يصلي في حجرة عائشة وهي معترضة بين يديه	٥٨
إن للقرآن ظهرًا وبطنًا	٣٦
توسلوا بجاهي؛ فإن جاهي عند الله عظيم	٣٩
لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له	٦٠
لو اعتقد أحدكم في حجرٍ لنفعه	٣٩
من أدرك من الصلاة ركعة قبل أن تطلع الشمس، فقد أدرك الصبح	٥٨
من كان له عند الله حاجة، فليتوسل بخديجة	٣٩
من لم يعرف أحوال الجاهلية، لم يعرف الإسلام	٣٢
من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين	٥٦
الناس معادن كمعادن الذهب والفضة	٥٦

فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
آدم عليه السلام	٦١
إبراهيم الدسوقي	٣٨
أبو بكر الصديق رضي الله عنه	١٢
أبو بكر بن محمد عارف بن عبد القادر خوقير	٢١
أحمد البدوي	٣٨، ٦١
أحمد بن إبراهيم بن عيسىٰ النجدي	٢١
أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي	٤٤
أحمد بن السيد حامد الأبوتيجي	٢٠
أحمد بن حامد المدني المصري	٢١
أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني	١٤، ٤٠
أحمد عجلان الحضرمي	٢١
أحمد بن علي، أبو صبرين الحضرمي	٢١
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	٤٣، ٤٧
أحمد بن محمد الزهرة	٢٠
أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني إمام المذهب	٦١

العلم	الصفحة
أرسطو	٥١
إسماعيل الهتاري اليمني	٢١
إسماعيل بن سليمان	١٧
إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي	٧٠
إسماعيل حقي	٣٧
بابصيل	٦٣
بدر الدين التونسي	١٨، ٢١
بدر الدين بن محمد المغربي	٢١
بشر المريسي	٣٤
بكر بن إدريس تكروني	٢٢
تاج الدين الأرموي	٥١
تاج الدين السبكي	٤٨
الجعد بن درهم	٣٤
جمال الدين القاسمي	١٧
الجهم بن صفوان	٣٤، ٤٦
حامد بن أديب الثقفي	٢١
الحسين بن مسعود البغوي الفراء	٤٨، ٧٠
حسين بن مصطفىٰ الدمياطي	٢٠

العلم	الصفحة
حفص الفرد	٣٤
حماد بن زيد	٤٦
حمزة سعداوي	٢٢
خطاب بن خطاب	٢٠
خطاب بن خليل لبدة	١٩
درويش المكي	٢٠
زكي مبارك	٣٤
سراج الدين السرمياحي المغربي	٥٠
سلام بن عبد الله	١٩
سليمان بن سحمان النجدي	٦٣
السَّيِّد الحدَّاد	٣٩
سيد خطاب	١٩
سيف الدين الآمدي	٤٨
صدر الدين القونوي	٤١
العباس	١٢، ٣٣
عبد الحي الكتاني	٢٣
عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي جلال الدين	٤٣، ٥٢، ٥٤
عبد الرزاق البيطار الميداني	١٨، ٢١

العلم	الصفحة
عبد الستار الهندي المكي	٢١
عبد السلام	٥٣
عبد القادر الجيلاني	٣٨
عبد القدوس الأنصاري	١٩، ٢٤
عبد الكريم الجيلي	٤١
عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ	٦٣
عبد الله بن حسن آل الشيخ	٣٠
عبد الله بن سبأ	١٢، ٣٣
عبد الله بن معيذر	٦٣
عبد المجيد وصفي	١٨، ٢٢
عثمان بن عفان	١١، ١٢، ٣٣
علي بن أبي طالب	١١، ١٢
عمر بن الخطاب	١٦
عمر بن حاج خطاب بن إسماعيل	٢٠
عياض القاضي	٦٥
مالك	١٥، ١٩، ٢٠، ٦١
المأمون (الخليفة)	١٢، ٣٣

العلم	الصفحة
محمد أفندي علي	١٨، ٢٢
محمد أفندي كرد علي	١٨
محمد القاوقجي الطرابلسي الشاذلي	٣٧
محمد بن أبي بكر الشنقيطي	٢١
محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية الزرعي	٤٤
محمد بن أحمد الذهبي	٣٦، ٤٣، ٤٤، ٤٧، ٥٤، ٦٦
محمد بن أحمد القرطبي	٥٠، ٦٦
محمد بن إدريس الشافعي المطلبي إمام المذهب	١٥، ٤٤، ٦١، ٦٢
محمد بن إسماعيل البخاري	٤٧، ٦٩
محمد بن إسماعيل بن سليمان	٢٠
محمد بن السيد حامد الحجازي	٢٠
محمد بن توفيق البزرة	١٨، ٢١
محمد بن جرير الطبري	٧٠
محمد بن حسين بن سليمان بن إبراهيم	١٦
محمد بن سالم الشنقيطي	٢١
محمد بن صالح أبو زنادة	٢٢
محمد بن عبد الله الطنطاوي	٢٠

العلم	الصفحة
محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي	٣٠
محمد بن علي بن عربي الحاتمي	٣٦، ٣٧، ٤١، ٤٣، ٦٢
محمد بن عمر بن الحسين الرازي فخر الدين بن الخطيب	١٤، ، ٤١، ٤٣، ٤٧، ٥٢، ٥٤، ٥٥
محمد بن محمد الغزالي أبو حامد	١٣، ٤١، ٤٣، ٦٢، ٦٣، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠
محمد بن موسىٰ الجداوي	٢٠
محمد بن نصيف	١٦، ١٩
محمد بن يوسف علي باشميل	٢٢
محمد جمال الدين القاسمي	٢١
مسلم بن الحجاج القشيري صاحب الصحيح	٦٩
أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام المذهب	١٥، ٢٠، ٦٠، ٦١
أبو حيَّان	٥٢
أبو عبد الرحمن السلمي	٣٦
أبو عبد الله محمد بن حمدين القرطبيّ	٦٦، ٦٨
أبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة	٤٤
ابن تيمية = أحمد بن عبد الحليم	١٤، ٤٠
ابن حجر = أحمد بن علي	٤٣، ٤٧

العلم	الصفحة
ابن الخطيب	٥١
ابن خليل السكوني	٥١
ابن دحية	٤٩
ابن الربيب	٤٩
ابن شامة	٥٠
ابن الطباخ	٥١
ابن عابدين	٦٠
ابن عبد البر النمري المالكي	٤٤
ابن عربي الحاتمي = محمد بن علي	٣٦، ٣٧، ٤١، ٤٣، ٦٢
ابن العربي المالكي	٦٥
ابن عطاء الله السكندري	١٣، ٤١
ابن عقيل	٦٤
ابن القاسم	٥٩
ابن قدامة موفق الدين	٤٤
ابن قيم الجوزية = محمد بن أبي بكر	٤٤
ابن كثير = إسماعيل بن عمر	٧٠
الآلوسي	٥٤

العلم	الصفحة
الآمدي	٤٨
الباجوري (البيجوري)	٣٨، ٦٠، ٦١
البخاري = محمد بن إسماعيل	٤٧، ٦٩
البغوي = الحسين بن مسعود	٤٨، ٧٠
البيهقي = أحمد بن الحسين	٤٤
التوحيدي أبو حيان	٥٢
التيجاني	٤١
الجيلي = عبد الكريم	٤١
الحلَّاج	٦٧
الحلي	٢٣
الذهبي = محمد بن أحمد	٣٦، ٤٣، ٤٤، ٤٧، ٥٤، ٦٦
الرازي = محمد بن عمر بن الحسن	١٤، ٤١، ٤٣، ٤٧، ٥٢، ٥٤، ٥٥
الزمخشري	١٤
السحيمي المصري	٥٣
السمناني كمال الدين	٤٩
السيوطي = عبد الرحمن بن أبي بكر	٤٣، ٥٢، ٥٤

العلم	الصفحة
الشاذلي	١٣، ٣٧، ٤١
الشافعي = محمد بن إدريس	١٥، ٤٤، ٦١، ٦٢
الشعراني	٣٨، ٤٣
الصدفي أبو علي	٦٥
الصنيع	٢٤
الطحاوي	٥٨
الطرطوشي أبو بكر	٦٨
الطوفي نجم الدين	٥٠
الغزالي = محمد بن محمد	١٣، ٤١، ٤٣، ٦٢، ٦٣، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠
المرسي	٤١
النصيبي شرف الدين السرمياحي المغربي	٥٠
النعساني بدر الدين	٥٢
حواء عليها السلام	٦١
عائشة بنت أبي بكر	٥٨
مبروكة بنت الشيخ عثمان بن إسماعيل	٢٠

فهرس البلدان والمواضع

البلدة/ الموضع	الصفحة
البحيرة	١٦
بَسْترة	١٦
بشرو	١٩
جدة	٥، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٧، ١٨
الحجاز	١٧، ٢٩
الخطابية	١٦
دمنهور	١٦
الرياض	٢٤
السعودية	٩، ٤٢، ٤٣
السودان	٩، ١٨، ٢٢
الشام	٩، ١٧، ٢١
مصر	٩، ١٦، ١٩، ٥١
مقبرة الأسد	٢٣

ثبت المراجع والمصادر

١- **آداب الشافعي ومناقبه**، محمد بن إدريس بن أبي حاتم التميمي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق.

٢- **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، لهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م.

٣- **إجازة الشيخ محمد بن حسين الفقيه للشيخ الصنيع**.

٤- **الأسماء والصفات**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، مكتبة السوادي، جدة- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي.

٥- **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر- أيار/ مايو ٢٠٠٢م.

٦- **البيان المبدي لشناعة القول المجدي**، سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح الخثعمي، التبالي، العسيري، النجدي، مطبع القرآن والسنة الواقع في بلدة أنر تسر.

٧- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضىٰ، الزَّبيدي، دار الهداية.

٨- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، محمد بن أحمد الذهبي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، تحقيق بشار عواد معروف.

٩- تاريخ جدة، عبد القدوس الأنصاري.

١٠- تحفة المريد على جوهرة التوحيد، إبراهيم الباجوري، دار السلام- القاهرة، ط١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٣م، تحقيق علي جمعة الشافعي.

١١- تراجم علماء جدة من الحضارمة، علي بن سالم العميري، دار المحمدي- جدة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، تحقيق خضر صالح سند.

١٢- التعليم والإرشاد، السيد محمد بدر الدين الحلبي، مطبعة السعادة- مصر، ط١، ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦م.

١٣- تفسير الرازي= مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

١٤- التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، دار الفكر للطباعة- لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، تحقيق: عبد السلام الهراس.

١٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري، دار هجر- القاهرة، ط١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م، تحقيق: د. عبد المحسن التركي، بالتعاون مع د. عبد السند يمامة.

١٦- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢ هـ، تحقيق محمد زهير الناصر.

١٧- جامع بيان العلم، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، مؤسسة الريان- دار ابن حزم، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي.

١٨- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار إحياء الكتب العربية- عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه- مصر، الطبعة الأولىٰ ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٩- **خلقُ أفعال العِباد**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار المعارف السعودية- الرياض، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة.

٢٠- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر أباد/ الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، تحقيق: محمد عبد المعيد خان.

٢١- **الدليل المشير**، أبو بكر الحبشي.

٢٢- **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد**، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

٢٣- **ذيل طبقات الحنابلة**، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٤- **رد المحتار علىٰ الدر المختار**، (حاشية ابن عابدين)، محمد أمين بن عمر الدمشقي، دار الفكر- بيروت، ط٢، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م.

٢٥- **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف- بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م.

٢٦- السنن، علي بن عمر الدارقطني، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤م، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين.

٢٧- السنن، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المكتبة العصرية- صيدا، بيروت، تحقيق محيي الدين عبد الحميد.

٢٨- السنن، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، دار إحياء الكتب العربية- مصر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٩- السنن، أحمد بن شعيب النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، ط٢، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

٣٠- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين.

٣١- سيرة الشيخ محمد حسين الذاتية.

٣٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.

- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر

٣٣- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت.

٣٤- صحيح وضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، برنامج منظومة التحقيقات الحديثة.

٣٥- صحيح وضعيف سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، برنامج منظومة التحقيقات الحديثة.

٣٦- **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الحديث- القاهرة، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٧- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت.

٣٨- **طبقات الشافعية الكبرىٰ**، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو.

٣٩- **طبقات الشافعية**، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٢م، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

٤٠- **الطبقات الكبرىٰ**، محمد بن سعد الهاشمي مولاهم البصري، دار صادر- بيروت.

٤١- **العلو للعلي الغفار**، محمد بن أحمد الذهبي، مكتبة أضواء السلف - الرياض، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود.

٤٢- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرىٰ - مصر، الطبعة الأولىٰ ١٣٥٦هـ.

٤٣- **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، مكتبة الفرقان- عجمان، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي.

٤٤- قاعدة في الجرح والتعديل، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، دار البشائر - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٠م، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

٤٥- الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٤٦- الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي، تكملة «الصارم المنكي»، دار الفضيلة للنشر والتوزيع - الرياض (سلسلة الرسائل الجامعية [١٧])، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، دراسة وتحقيق: د/ صالح بن علي المحسن، د/ أبو بكر بن سالم شهال.

٤٧- لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، محمد بن محمد بن محمد، أبو الفضل تقي الدين بن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثم المكيّ الشافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٤٨- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

٤٩- لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٢م، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

٥٠- اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع، محمد بن خليل بن إبراهيم، أبو المحاسن القاوقجي الطرابلسي الحنفي، دار البشائر الإسلامية- بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ، تحقيق: فواز أحمد زمرلي.

٥١- مجلة المنهل.

٥٢- المجموع الثمين في فتاوىٰ الشيخ ابن عثيمين، فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع.

٥٣- **مجموع الفتاوىٰ**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمع وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد- المدينة.

٥٤- **مختار الصحاح**، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت- صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، تحقيق: يوسف الشيخ محمد.

٥٥- **المدونة**، مالك بن أنس الأصبحي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م.

٥٦- **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، أحمد بن يحيىٰ بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين، المجمع الثقافي- أبو ظبي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ.

٥٧- **المسند**، أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد وغيرهم.

٥٨- **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، دار اليمامة للطباعة والنشر- الرياض، ط١، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م.

٥٩- **مشكاة الأنوار**، أبو حامد الغزالي، الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، تحقيق: د/ أبو العلا عفيفي.

٦٠- **معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود**، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية- حلب، الطبعة الأولىٰ ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م.

٦١- **معجم البلدان**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م.

٦٢- **معجم الشيوخ**، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله بن سعد الصالحي الحنبلي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٤م، تحقيق: الدكتور بشار عواد- رائد يوسف العنبكي- مصطفىٰ إسماعيل الأعظمي.

٦٣- **معجم المناهي اللفظية**، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٦٤- **معجم اللغة**، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٦٥- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، تحقيق: محمد رشاد سالم.

٦٦- **المنهل الصافي والمستوفىٰ بعد الوافي**، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق: دكتور/ محمد محمد أمين.

٦٧- **الموطأ رواية يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي الأندلسي**، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤١٧هـ، تحقيق: بشار عواد.

٦٨- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة العالمية- دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي، ومحمد بركات، وعمار ريحاوي، وغياث الحاج أحمد، وفادي المغربي.

٦٩- **النخبة البهية في الأحاديث المكذوبة علىٰ خير البرية**، الأمير الكبير المالكي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط١، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م.

٧٠- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوىٰ ومحمود محمد الطناحي.

٧١- **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، دار إحياء التراث- بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفىٰ.

٧٢- **الوفيات**، أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني، دار الآفاق الجديدة- بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، تحقيق: عادل نويهض.

فهرس الموضوعات

مقدمة المشروع ٥
المقدمة ٨
أولًا: أهمية الكتاب ١١
ثانيًا: ترجمة المصنف ١٦
مصادر الترجمة ٢٤
ثالثًا: منهج العمل في الكتاب ٢٥
النص المحقق ٢٧
حال العرب قبلَ البعثة النَّبويَّة ٣١
العهد النَّبوي ٣٢
الخلفاء الرَّاشدون ٣٣
ترجمة كتب اليونان والفلاسفة وفتنة خلق القرآن ٣٣
الصُّوفيَّة ٣٤
المتكلِّمون ٣٩
فخر الدين الرازي ٤١
أبرز المتصوِّفة ٤١
أثر الدولة السعودية في نشر العقيدة وردع البدع ٤٢
كتب الفِقه ٥٦

كتب الحديث ٦٢
كتب التَّصوُّف، وذِكر الغزَّاليِّ وابن عربي ٦٢
الفهارس العلمية ٧١
فهرس آيات القرآن الكريم ٧٣
فهرس الأحاديث ٧٥
فهرس الأعلام ٧٦
فهرس البلدان والمواضع ٨٥
ثبت المراجع والمصادر ٨٦
فهرس الموضوعات ٩٥